الفصل الثالث

تقارير خبرات ميدانية فى دراسة الاولياء

مقـــدمة :

أقدم فيما يلى عددا من تقارير زيارات ميدانية لبعض الأوليـــاء فى مختلف أنحاء الريف المصرى فى الوجهين القبلى والبحـــرى • والســـمة الاولى التى يشترك فيها كل هؤلاء الأولياء أنهم أولياء محليون تمتـــــد شهرتهم فى داخل قراهم فقط ، ولا تتعداها الى خارج القرية الا بشكل عارض وثانوى • ولكن التكريم الحقيقى لكل من هؤلاء انما قائم أساسا داخل وحداتهم المحلية (قرى) •

وهم جميعا أولياء قرويون ، لأن تركيز أى دراسات انما يتم دائما على دراسة الأولياء فى المدن الكبرى ، وعلى كبار الأولياء منهم بالذات • على حين أن مثل هذه الانطبـــاعات تؤكد لنا أن هؤلاء الأوليـــاء المحليين يجمعون طائفة عريضة من الانماط المتنوعة : ففيها الرجل وفيها المرأة ، وفيها القديم المجهول الاصـــل (القادم مع الفتح العـــربى لمصر ـــ من الصحابة) وفيها الحديث الذى توفى منذ وقت معلوم • وفيها أصـــحاب الأضرحة المقامة على النيل (لحماية قراهم من الفيضـــان ـــ بقايا آلهة محلية قديمة) ، وفيها أصحاب الأضرحة العادية بين المقـــابر العادية أو قريبا منها • وفيها أولياء بلا موالد (يقتصر تكريمهم على زيارة أسبوعية وبعض الزيارات غير الدورية)، وأولياء لهم موالد هامة نشيطة ومستمرة• وفيها أولياء ينتمون الى طرق صـــوفية معينة ، أى أن تكريمهم محـــل اهتمام ورعاية طريقة صوفية معينة ، وفيها أولياء لا يرتبطون بأى طريقة صوفية • وفيها أولياء يتم تمويل أضرحتهم وموالدهم ذاتيـــا ، وأخرى يتولى الانفاق على تكريمهم عائلات من كبار التجار أو الاقطاعيين ••الخ•

وتحت أيدينا بيانات ميدانية عن أكثر من ألف من الاولياء المنتشرين

فى كل أنحـــاء مصر ريفها وحضرها ، شـــمالها وجنوبها ، جمعت بياناتهم بواسطة كاتب هذه السطور أو تلاميذه أو زملائه على مدى فترة زمنية بلغت نحو ستة عشر عاما متصلة • ومكان هذه البيانات أرشـــيف قومى للفولكلور المصرى لابد وأن يرى النور قريبا (بعد أن تحقق دراســـات الفولكلور النمو والاستقرار المنشود) ، بحيث تودع فيه كافة المـــواد المجموعة منا ومن غيرنا من مئات الهـــواة والمتخصصين والمهتمين بتراث شعبنا العظيم •

ومن هنا قلت ان البيانات المعروضة فيما يلى هى تقـــارير زيارات ميدانية ، وليست دراسات ، والهدف منها أن تقدم توثيقا وتجسيدا لبعض الملاحظات والأسس العامة التى تكلمنا عنها على امتداد فصول هذا الباب، وبدا بعضها عاما أو مطلقا أو متجاوزا حـــدود الزمان والمكان • وهذه البيانات الميدانية هى الأساس لأى دراسة علمية متوسعة فى المستقبل •

والملاحظة الأساسية على بيانات هؤلاء الأوليـــاء والتى سيلمسها القارىء فى حكاية كل ولى هى بساطة هذه الحكاية وقصرها • فهى بيـــان لبعض الخطوط والاشارات العامة غير المحددة وغير الدقيقة ، وذلك على الاقل بالنسبة للأولياء القدامى المجهولى الأصل (الصحابة أو التابعين) • أما الأولياء الاحدث الذين عاشوا مع الناس ورآهم الناس وســـمعوهم فتحكى تفاصـــيل عن حياتهم ، بل وتنســـب الى بعضهم كرامات أثنـــاء الحياة • أما الأغلبية فكل كراماتهم ظهرت بعد الموت ، أو حتى بعد اقامة الضريح •

ومثل هذه القصص أو حكايات الاولياء البسيطة لا تنمو ، ولا تضاف اليها موتيفات (عناصر) جديدة الا نادرا ، بل ان البعض يزرعون الشك فى بعض تفاصيلها دون مساس بمكانة الولى نفســـها أو فى مجموعها • فسوف نقرأ أن ابن الخادم أو ابن الرجل الكبير (الوجيه) الذى ينفق على الضريح أكثر تشككا فى كرامات الولى أو فى بعض التفاصـــيل التى تروى عن تكريمه وعن أسراره • ولكن الجميع مع ذلك أصحاب مصلحة فى

أن يظل تكريم هذا الولى مزدهرا ومستمرا ومتزايدا أحيانا ، فالخادم أو الرجل الفقير الذى يقوم على رعاية الضريح له مصلحة فى أن يستمر تكريم هذا الولى متصلا ، لانه مصدر رزقه الأساسى • والوجيه (التاجر أو الاقطاعى) الذى ينفق على الضريح وعلى مولد الشيخ له مصلحة فى استمرار هذا التكريم لان ذلك من مقومات وجاهته ، ومن عوامل ترسيخ مكانته بين أهل منطقته ومن وسائل استمتاع هذا الرجل بالسلام مع نفسه ، حيث يمكنه أن يستمر فى جمع المال بالطرق المختلفة (دون أن يتحرى طهارة اليد دائما) ويفرغ طاقة الخير عنده فى الانفاق على هذا الضريح • ولكن هذه قصة أخرى ليس هذا مجالها •

المهم أننى أريد أن أوضح نقطة دقيقة ، وهى أن الشك قد يتبادر الى نفوس أو الى عقول البعض حول ما يسمعون من حكايات وكرامات وأسرار ، ومع ذلك لا تنعكس تلك الشكوك فى حالة تدهور عام لمكانة الأولياء ، لان كافة الاطراف المتصلة بهؤلاء الأولياء لها « مصالح » فى استمرار هذا التكريم وفى تدعيم مكانة هؤلاء الأولياء •

ومع ذلك فاننى أتجاسر وأقول ان هذا التكريم اذا كان ينحسر ، فانه يبدأ فى الانحسار بين الرجال ، يليهم الشباب والأطفال ، وتبقى النساء فى النهاية • فهن الفئة الاجتماعية الاكثر تخلفا (الاقل تعليما ، وأقل خبرة فى الحياة ، وأقل اطلاعا على شئون العالم الحديث •• الخ)• وهن الفئة الاجتماعية الاكثر اضطهادا ، فهى بين المضطهدين أسوأهم وضعا • ثم ان المرأة كما علمنا فى كل ثقافات الارض الغابرة والمعاصرة هى حافظة التراث وصاحبته وحاملته الاولى والامينة عليه • لهذا لن تخطىء عين أى زائر لأى ضريح ولى فى مصر ــ ريفها وحضرها ــ صحة الاتجاه العام الذى أشير اليه هنا ، من أن النساء هن آخر طابور العاملين النشطين فى تكريم الأولياء من بين هذا الشعب • ولعل فى هذا دليل جديد ــ لمن لازال محتاجا الى دليل آخر ــ على أن نهضة المرأة المصرية هى النهضة الحقيقية لهذا المجتمع ، بل هى مفتاح كل تحديث وترشيد لحياتنا الثقافية والاجتماعية •

ولكن برغم قصر حكاية هؤلاء الأولياء المحليين وبساطتها ، فاننا سنلاحظ أن مركز الثقل الواضح بالنسبة لاى ولى هو الكرامات التى أتاها فى حياته أو بعد مماته • فالكرامات هى الموضوع الذى تتجدد حوله الأحاديث وتتواتر بشأنه الروايات ويكتسب بعضها من حين لآخر خبرات جديدة يمكن أن تتغذى وتتضخم بالتناقل والانتشار • فمجال الكرامات « مفتوح » لأى شخص ، من حقه أن يرى الولى فى المنام ، أو فى مناسبة معينة (حج أو سفر) ، ويشاهد منه ما شاء من كرامات ، ثم يحكيها ، ثم تتناقل وتتضخم • وقد تظل حية تتناقل ، وقد تنسى فتموت ، ولكنها تتجدد فى قصة أخرى ، وهكذا سنة حياة التراث ، خاصة الشفاهى منه • وكرامات الاولياء تراث شفاهى فى المقام الاول ، أما الكرامات المدونة التى أوردنا اشارات لبعضها فى صلب هذا الباب فتمثل تطورا حديثا ، وهى على أى حال تقتصر على نفر قليل من كبار الأولياء ، ودائرة انتشارها محدودة اما لمن يقرأ الكتاب المطبوع ، أو يحضر المولد ويسمع المنشد يروى تلك الكرامات • أما الكرامات التى نعنيها فهى ملك لكل الناس ، وهى فى حالة حركة دائمة يرددها الناس على مسامع بعضهم فى كل مناسبة وكل وقت •

كما توضح الممارسات الشعبية المتصلة بالأولياء فى هذه المنطقة دور بعض الطرق الصوفية فى « انتاج » الاولياء « ورعايتهم » • فهناك طائفة من المشايخ يقومون بعمل جولات مستمرة فى مختلف أنحاء الجمهورية سواء على مستوى المناطق (كمركز أو مدينة مثلا) أو مستوى المحافظات أو مستوى الجمهورية ، حيث ينزلون ضيوفا على أتباعهم • ويسمى هؤلاء الأتباع « الأولاد » • وتكون مثل هذه الزيارات فرصا لاكتساب « أولاد» جدد وتوثيق العلاقات مع « الأولاد » الموجودين •

وتبعا لشهرة هؤلاء المشايخ وقوة أتباعهم ووفقا لعوامل أخرى (مثل حالة الشيخ البلاسى فى قرية الزرزمون مركز ههيا شرقية) يتحول هؤلاء المشايخ بعد موتهم الى أولياء وتبنى لهم أضرحة تختلف حجما تبعا للظروف السابقة •

وهناك عامل آخر كان له شأن كبير فى تدعيم ولاية بعض المشـــايخ واكتسابهم هيبة معينة بين أهلهم فى حياتهم وبعد مماتهم ، مما يسر لهم سبيل « الولاية » وأظهر كراماتهم ، وأعنى هنا الأوضـــاع الاقتصادية والاجتماعية الاقطاعية فى النصف الاول من القرن العشرين على الاقـــل (وهى الفترة التى يمكن توثيقها اعتمادا على بيانات الاخباريين) • فكان هؤلاء المشايخ (منهم مثلا الشيخ البلاسى الذى سبقت الاشـــارة اليه والشيخ الشوادفى وأبو هاشم فى منطقة ههيا شرقية ، وكازوريا بجـــوار قرية الزرزمون ، والعداوية وشهرتها العدوة ـــ بنى عامر •• الخ) أدوات فى أيدى بعض الاقطاعيين الكبار يستخدمونهم عن طريق منحهم امتيازات مالية كبيرة بالنسبة لظروف الفلاحين فى تلك الاوقات لأسباب لا تخفى على فطنة أحد ، ليس أقلها صبغ عملية الاستغلال الاقطاعى بصبغة شرعية •

وتطورت عملية الامتيازات المالية الى تشجيع علنى الى مصاهرة •• الخ • وأصبحت الصورة الاخيرة لشيخ من هذا النوع : رجـــل متيسر ، يكسب قوته بسهولة ، ويتزوج بأكثر من واحدة كل منهن فى قرية من قرى المنطقة ، لتكون مثل هـــذه الزوجات بمثابة رواس للشـــيخ فى المنطقة ، وبالتالى رواس للاقطاعى نفسه يستند عليها نفوذه فيها •

على أنه قد يحدث رغم هذا الدعم الكبير أن يموت الشيخ دون أن يكتسب الولاية ، ودون أن تتاح له فرصـــة اظهار كراماته • ولكن هناك بعض الأساليب التى يتحول بها الشيخ ـــ شيخ الطريقة ـــ بعد موته الى ولى من أولياء الله فى نظر أهل قريته ، أو غيرها من القرى • من ذلك أن يرث طريقته « أولاد » (أتباع) أو أولاد حقيقيون ذوو ســـطوة وجاه يتمكنون عن طريقها من فرض تكريمه على الناس ، فيبنون مثـــلا ضريحا هائلا ، أو يتفننون فى اقامة مولده ، أو يتوسعون فى الدعاية له ••• الخ •

وهناك فضلا عن هذا كله بعض المشـــايخ الذين يتمتعون فى بلادهم بمركز عادى ، حيث يعيشون كسائر الناس أو يكادون ، ولكنهم ينظمون

بذكاء وامكانيات خاصة زيارات « لأولادهم » فى مناطق معينة بعيدة نسبيا عن بلادهم (مثل الشيخ أحمد أبو عمه فى مدينة ههيا شرقية الذى ينتشر نفوذه حول مدينة طنطا غربية ، وتكثر زياراته ويكثر « أولاده » هناك) • ومن شأن هذه الأساليب أن تمكن لهؤلاء المشايخ بين أهل تلك القرى ، بحيث يتحولون بسهولة ــ نسبيا ــ الى أولياء فى حياتهم أو بعد موتهم •

ولذلك أكدت فى أكثر من دراسة وفى أكثر من مناسبة أنه يجب علينا أن نلجأ الى دراسة تاريخ مشايخ الطرق الصوفية وأوضـــاعها الراهنة للتعرف على الوسائل المختلفة التى تساهم فى تحويل المشايخ المغمورين الى أولياء •

التقرير الأول

تقرير عن الأولياء فى قرية مصرية(*)

أولا ــ المنطقة التى تقع بها القرية والأولياء بها :

تقع قرية « بنى واللمس » احدى قرى مركز مغاغة محافظة المنيا على شاطىء « البحر اليوسفى » الشرقى فى منتصف المسافة بين مركزا مغاغة ومركز بنى مزار بالضبط ، ولكنها لا توجد بحكم موقعها هذا فى المنطقة الملاصقة لنهر النيل تماما بل تبتعد عنه جهة الغرب بحوالى ١٥ كيلو مترا • أى أنها تقع بالقرب من الصحراء الغربية حيث لا يوجد غرب البحر اليوسفى فى هذه المنطقة من الارض الزراعية الا شريط عرضه حوالى ٥ كيلو متر تقريبا تبدأ بعده الصحراء فى الامتداد جهة الغرب • ويبدو أن هذه المنطقة القريبة من الصحراء الغربية تختلف من الناحية الثقافية عن المنطقة الملاصقة لنهر النيل وذلك بحكم الاتصال المباشر بالمدن أو القرب منها على الاقل • كما أن هذه المنطقة تختلف حتما عن المنطقة التى تقع شرق النيل على الساحل الملاصق للصحراء الشرقية ويظهر هذا الاختلاف جليا حتى فى التسمية التى يطلقها الاهالى على هذه المناطق • اذ يطلق على المنطقة من « مغاغة » ــ التى تقع غرب نهر النيل بحوالى نصف كيلو متر ــ حتى بداية الصحراء الغربية اسم « الغروب » بينما يطلق على كل الجزر والقرى الواقعة شرق نهر النيل اسم « الشروق » •

المنطقة التى تقع بها القرية تعتبر اذن منطقة ثقافية مميزة الى حد ما ، ويمكن أن نقرر أن البحر اليوسفى لا يعتبر مانعا ثقافيا مثل نهر النيل مثلا ، فالعلاقة بين القرى الواقعة شرقه وغربه علاقة قوية كما أن السمات الثقافية يبدو أنها متشابهة الى حد كبير • بل أنه يمكن القول أن

(*) اعد هذا التقرير السيد / احمد عبد الله زايد المدرس المساعد بقسم الاجتماع بجامعة القاهرة فى عام ١٩٧٦ •

هذه المنطقة قد تتأثر فى بعض الأحيان بالثقافة البدوية حيث نجد أن ثمة علاقات بين بدو الصحراء القلائل فى هذه المنطقة وبين سكان القرى الى درجة أن بعض الاعراف البدوية قد أقحمت نفسها لتحكم العلاقة بين الناس وليس هذا هو موضوعنا الأساسى وهو موضوع جدير بدراسة مستفيضة •

موضوعنا الأساسى هو دراسة بعض المعتقدات المتعلقة بالأولياء فى هذه المنطقة وفى القرية المذكورة بالذات • والأولياء فى هذه المنطقة تنتشر انتشارا كبيرا ، وتوجد الكثير من الممارسات الخاصة بهم والتى تختلف من ولى الى آخر كما أن الأولياء فى المنطقة من أنماط عديدة • فيوجد فى بعض القرى مثلا ولى خاص بشفاء الأمراض يزوره الناس فى ميعاد زيارته المحدد كالشيخ « الغريانى » فى قرية « البجهور » والشيخ (أبو غنيمة) فى قرية « ساقولا » • ويوجد فى بعض القرى أولياء ينسبون الى الصحابة «صحابة رسول‌الله» الذين‌ماتوا أثناء الحرب فى فتح‌مصر خاصة أن‌المنطقة التى تقع فيها قرية « البهنسا » الشهيرة ، والتى كانت توجد بها بعض الحصون الرومانية التى فتحها المسلمون ، والتى يوجد فيها مئات من الأولياء من هذا النوع الى درجة أن بها ضريحا ينسب الى « عبد الرحمن ابن أبى بكر » وآخر ينسب الى « خولة بنت الأزور » • هذا ويجب التنويه الى أن الولى الذى سنتناوله بالدراسة من هذا النمط • ويوجد نمط ثالث فى هذه المنطقة وهم هؤلاء الأولياء الذين أثبتوا كرامات وماتوا فى هذا العصر (فى أيامنا هذه أو منذ عشرات السنين مثلا) والذين يتذكرهم الناس عنهم الكثير• وبعض‌هؤلاء الاولياء موجودون فى قرية «الجرنوس» القريبة من قريتنا وفى قرية « ميانة » القريبة من مغاغة ومن نهر النيل أيضا • ونمط رابع وهو الأولياء المؤشرون الذين لا يتذكر الناس عنهم سوى القليل ولم يروهم الا فى الأحلام حيث يأتى الولى الى أحد الأفراد ويأمره أن يبنى له قبرا « وليس مقاما » فى مكان ما يريده الولى نفسه • ويوجد فى قريتنا اثنان من هذا النوع • ونمط خامس وهو ذلك النوع من الأولياء المنسوب الى أسرة عريقة فى التدين والولاية والتى يوجد منها

أولياء أحياء أيضا • ومن هذا النوع أسرة توجد فى قرية « القايات » غرب البحر اليوسفى يعتقد كل أبناء المنطقة أنها أسرة « طيبة » الى درجة أن الطفل فيها يعتبر وليا وكثيرا ما ينسبون المعجزات الى الأحياء والأموات على حد سواء • ورغم أن تغيرا كبيرا قد طرأ على الأسرة نفسها الا أن الأسرة مازالت لها كيانها وثقلها وتأثيرها الدينى فى قلوب الناس الى درجة أن الناس يعتقدون صلاحية أفراد هذه الأسرة وولايتهم مهما كانت الظروف ، ويحرص الكثير على زيارة هؤلاء الناس والتبرك بهم • ونظرا لتمسك هذه الأسرة بالدين ووجود أولياء فيها على قيد الحياة فانه لا يوجد الكثير من الممارسات الشاذة المتعلقة بزيارة هؤلاء الأولياء وكثيرا ما يقتصر الزائر على الزيارة وقراءة الفاتحة ودفع النذور أو تقبيل يد الشيخ الحى •

والأولياء فى المنطقة مازالوا يتمتعون بمكانة عالية فى قلوب الناس الى درجة أن الثورة على هذا الاعتقاد قد تقابل بالنفور الشديد بل والازدراء فى غير قليل من الأحيان • ويحرص الناس على زيارة هؤلاء الأولياء كلهم أو بعضهم مرة على الاقل فى العام خاصة الأولياء ذوى الشهرة فى شفاء الأمراض مثل « أبو غنيمة » والشيخ « الغريانى » وذلك فى مواعيد الزيارة والتى غالبا ما تكون يوم الجمعة وان كان الشيخ أبو غنيمة يزار دائما يوم السبت حيث يقام له حضرة أسبوعية خاصة فى أيام الصيف ، ولا يعرف الناس ما اذا كان مسيحيا أم مسلما ولا يجدون تبريرا لزيارته يوم السبت • والدليل على أن الناس يعتقدون أنه يشفى الأمراض أنهم يطلقون عليه « طبيب المبالى » وتكثر زيارته فى أيام الصيف حيث يكون الفراغ كبيرا والمناخ مواتيا • لان الذى يزوره غالبا ما يصطحب زوجته وأولاده • واذا ما دخلت ضريح الشيخ يوم السبت أو (ليلة الأحد) فانك لا تستطيع أن تلف حوله أو حتى تتحرك من عشرات النساء النائمات فى رحابه يطلبن شفاءهن من الامراض • ويوجد بجواره بحيرة راكدة لا تتجدد مياهها الا كل عدة أيام يطلق عليها الناس (بحر أبو غنيمة) ويستحم فيها الرجال والنساء والاطفال تبركا الى درجة

أن والد الطفل المريض قد يغسل له وجهه منها لكى يشفى من المرض • وكثيرا ما يغرق الناس فى هذه البحيرة : الاولاد والبنات الصغار والكبار، ويعتقد الناس أن الغريق قد فعل شيئا أغضب الشيخ فانتقم منه •

هذه صورة عامة عن المنطقة والأولياء بها انتقل منها الى الحديث عن الأولياء فى قرية بنى واللمس •

ثانيا ــ الأولياء فى القرية :

بالقرية ثلاثة أولياء • أحدهم له مقام كبير وتنسج حوله العديد من الحكايات ، كما يتعلق به العديد من الممارسات • وهذا الولى هو الشيخ « حسن أبو رايتين » الذى يقع مقامه فى وسط القرية تماما • أما الوليان الآخران فأحدهما عبارة عن قبر مبنى بالطوب اللبن يقع على شاطىء البحر اليوسفى فى منتصف القرية أيضا • وقد بنى هذا القبر أحد أبناء القرية حيث رأى الشيخ فى المنام وقال له : ابن لى ضريحا فى هذا المكان • وهذا الولى هو الشيخ « محمد الساعى » • والآخر لا يعرف الناس عنه أى شىء سوى أن قبره موجود تحت مجموعة من الأحجار اتخذها الناس كمصلى وهى تقع على حافة البحر اليوسفى أيضا وبالقرب من الولى السابق • وقد أتى هذا الولى أيضا الى أحد أبناء القرية فى المنام وقال له : ابن فوق قبرى مصلى يصلى فيه الناس • فوضع هذه الاحجار فى شكل منسق ليصلى عليها الناس • وهذا الولى هو الشيخ « محمد الأربعين » • هذا ونجد الناس يطلقون على هذه المنطقة التى يقع فيها على حافة البحر اليوسفى اسم « الأربعين » •

(ا) الشيخ حسن أبو رايتين :

يوجد مقام(١) الشيخ فى وسط القرية تماما وبجوار مقابر القرية • ومقام الشيخ كبير ومرتفع يبلغ ارتفاعه حوالى ١٥ مترا تقريبا • ويقوم

(١) المقام هو الاسم المحلى لضريح الشيخ اى القبة الموجودة فوق ضريحه •

على خدمة الولى خمسة رجال هم أبناء رجل واحد توفى فورثوا خدمة الضريح عنه • ويتولى هذه المهمة أحدهم فى أى مناسبة حيث لا يكلفهم الشيخ أى جهد سوى اضاءة قبته ليلا فقط التى يقوم بها أحدهم وكذلك تنظيم مولد الشيخ حيث يتعاونون جميعا فى هذا المجال • ويقتسم هؤلاء الأفراد ايراد الشيخ القليل جدا مع أحد أبناء قرية مجاورة يقول انه قريب لهذا الولى ومن نسله • وهذه القرية التى يقطن فيها هذا الرجل هى قرية الجرنوس التى تقع على بعد ٢ كيلو متر شرق قرية « بنى واللمس » التى يقع فيها الولى • وهذه القرية « الجرنوس » بها العديد من الأولياء كما يتفق جميع أهالى المنطقة أنها أقدم قرية فى المنطقة على الاطلاق •

ولقد كان جد هذا الرجل الذى يشارك الجماعة التى تقوم على خدمة الشيخ هو الذى يقوم على خدمته • ولكن حدث أن تطوع جد هذه الجماعة التى تخدم الشيخ الآن من أبناء القرية بتجديد ضريح الشيخ وتنظيمه والتطوع بخدمته حيث لا يستطيع الذى يقطن فى قرية بعيدة أن يباشر هذه المهمة • وتولى عنه هذه المهمة ابنه ثم أحفاده الخمسة وهكذا • على أن يقتسموا ايراد الشيخ مع خادمه (نقيبه)(٢) الأساسى الذى يعيش فى قرية الجرنوس • هذا ويجب الاشارة الى أنه نظرا لضآلة ايراد الشيخ فانه يبدو أن النقيب الأساسى قد تخلى عن نصيبه للقائمين على خدمة ضريح الشيخ من أبناء القرية •

كانت قبة الشيخ فيما مضى صغيرة مبنية بالطوب اللبن • وقد ذكرنا أن أحد أبناء القرية (جد من يخدمون الضريح حاليا) هو الذى بنى القبة الحالية التى ترتفع فوق حجرة كبيرة مربعة يبلغ طول كل جدار بها حوالى ٥ متر • وأرضية الضريح « مبلطة » وقد قام أحد أبناء القرية بتبليطها منذ قريب تبرعا أو وفاء بنذر معين • وقبة الشيخ مطلية بالجير

---

(٢) كلمة النقيب هى الاسم المحلى للذى يقوم بخدمة الشيخ أو يكون من عائلته أو يمت له بصلة قرابة .

ويقوم بتجديد طلائها أى فرد من أبناء القرية على أن يكون هذا الطلاء وفاء بنذر معين أيضا • ويدعى من يقومون بخدمةالضريح حاليا أنهمأقرباء لهذا الولى بالنسب ولم يكن جدهم ليتطوع لهذه الخدمة لولا أنه يعرف قصة هذه القرابة ، حيث تزوج أحد أبناء عائلتهم واحدة من نسل هذا الولى •

(ب) سيرة الولى وكراماته :

لا يذكر أى من أبناء القرية شبابها وشيوخها شيئا عن حياة سيدى حسن أبو رايتين الا أنه كان محاربا فى صفوف جيش المسلمين التى كانت تحارب ضد « الكفرة » على حد قولهم • وكان يتقدم الجيوش حاملا الرايات فى يده ومن هنا لقب أبو رايتين •

وتتضارب قصة وفاته وتختلط فى أذهان الناس فمن الناس من يقول أنه كان مدفونا بقرية « الجرنوس » المجاورة ثم انتقل سرا الى هذا المكان فى القرية • ومنهم من يقول أنه مات فى قرية الجرنوس ثم طار بالنعش حتى هذه المنطقة التى دفن بها وطلب أن يدفن فيها • ومنهم من يقول أنه دفن فى المكان الذى استشهد فيه فى الحرب • ولكنى لم أكتف بكل هذه الروايات وسألت أحد المسنين فى القرية فذكر لى أن هذه المنطقة التى تمتد من قرية الجرنوس حتى قرية « بنى واللمس » كانت كلها فيما مضى مدافن لقرية الجرنوس القديمة جدا والتى تعتبر قرية بنى واللمس حديثة النشأة اذا ما قورنت بها • والدليل على أن كل هذه المنطقة كانت مدافن هو أنك لو حفرت الارض فى أى مكان من المنطقة المجاورة لوجدت رفاتا وأجسادا لأناس سابقين • ولقد كان الشيخ حسن أبو رايتين مدفونا فى مقابر قرية الجرنوس التى اندثرت ولم يبق منها سوى ضريح الشيخ الذى قامت حوله القرية • والدليل على هذا التصور الذى يقول الاخبارى المسن أنه سمعه من والده هو أن القرية اتجهت فى دفن بعض موتاها حول ضريح الشيخ لان المنطقة حوله شجعتهم على هذا لانها كانت مقابر أساسا رغم أنها تقع وسط القرية الحالية • والدليل على هذا الرأى

أيضا أن خادمه الأساسى مازال يقطن قرية الجرنوسن ، ويقول الاخبارى المسن هذا أنه لم يسمع من والده وسابقيه الا أن هذا الولى صحابى كان يحارب فى صفوف الجيوش الاسلامية وأنه كان مكلفا بحمل الرايات ومن هنا لقب بأبى رايتين أو أبو الرايات •

ورغم أن الناس لا يذكرون عن حياته الاولى سوى ما قلناه فانهم يكنون له احتراما كبيرا ويهابونه ويلقبونه (بالبطل) أو (التلب) وهو اسم محلى يعنى أيضا البطل • وينسبون اليه الكثير من الكرامات التى أظهرها وهو ميت ومن هذه الكرامات :

١ ــ عندما نام أحد الأفراد وكان يحرس غلته المجاورة لمقام الشيخ وترك الغلة فى رعاية الشيخ وأتى أحد اللصوص ليملأ جلبابه من غلة هذا الرجل ، تركه الشيخ الى أن ملأها وعندما هم بالوقوف لم يستطيع بل التصق بالارض ولم يأذن له الشيخ بالمشى الا بعد أن استيقظ صاحب الغلة وتشفع له عند الشيخ الذى أطلق سراحه • هذا ويجب أن نذكر أن المنطقة المحيطة بالشيخ والمقابر المجاورة له يتخذ منها الاهالى مكانا لنشر ودرس محصولاتهم •

٢ ــ عندما أتى أحد الأفراد لسرقة بعض القمح من هذه (المجرنة)(٣) لم يدر الا وسلسلة تربطه بالارض لم يستطع منها أن يحمل سرقته • وعندما ذهب الى أكثر من مكان ليسرق منه فى أجران القرية حدث له نفس الشىء بحيث تسببت هذه الحادثة فى أن يتوب هذا الرجل عن السرقة •

٣ ــ عندما حاول بعض أهالى القرية أن يعطل مولد الشيخ لانه يقام بجوار أبراج الحمام الخاصة به ذهب له الشيخ فى المنام وكاد أن يخنقه

---

(٣) المجرنة هى الاسم المحلى للمكان الذى توضع فيه الاجران والجرن هو المحصول بعد أن يأتى من الحقل وقبل أن يذهب الى المنزل •

لولا أن تعهد له أنه سيساعد فى اقامة المولد • وفعلا ذهب فى اليوم التالى وساعد على إقامة المولد •

٤ ــ يقول أحد أبناء القرية أنه رأى بالليل وفى أحد الايام داخل الشيخ نورا ساطعا ورأى مئات الأولياء مجتمعين يذكرون اسم الله الأمر الذى يدل على مكانة الشيخ بين الأولياء •

٥ ــ انقاذه لأحد أبناء القرية عندما تعرض لخطر وهو بالحجاز حيث ظهر له فى صورة شخص عادى وأنقذه من الخطر الملم به ثم اختفى فجأة فعرف أنه سيدى حسن أبى رايتين •

٦ ــ يشاهده أهالى القرية فى المنام يركب حصانا ويحمل سيفا ويلبس عمة وثيابا بيضاء ناصعة وهم يستبشرون بهذه الرؤية(٤) •

٧ ــ فى أثناء مولد الشيخ أو فى احدى أيام الجمع لو تجمع عدد من الاطفال والشباب داخل ضريح الشيخ وهللوا قائلين : أوكب يا واكب • ولفوا حول الضريح مصفقين فانه يظهر فى القبة راكبا حصانه ويلف معهم فى أعلى القبة شاهرا سيفه • ويحكى أهل القرية أنهم رأوا هذه الظاهرة بأعينهم وتأكدوا منها(٥) •

٨ ــ انقاذ لناقة كادت توشك أن تغرق فى احدى القنوات ولم يستطع الرجال أن يخرجوها وعندما صاح صاحبها باسم الشيخ أبو رايتين قامت ناقته وخرجت بنفسها من الماء وظن أن الشيخ هو الذى أخرجها •

---

(٤) يجب أن نذكر أنه عندما يرى أحد الأفراد جملا فى المنام فان مفسر الاحلام يفسر رؤية الجمل على أنه شيخ ، ويدل هذا على أن الجمل يمثل الخير ويحمل قيمة كبيرة . وفى مقابل ذلك يفسر رؤية الثعبان على أنه عدو .

(٥) رأى الباحث ظاهرة من هذا النوع ليس مع الشيخ حسن أبو رايتين ولكن فى ضريح ولى يدعى (الدكرورى) يقع فى قرية بهنسا .

(ج) زيارة الولى والممارسات المتعلقة به :

يعتقد أهل القرية أن سيدى حسن أبو رايتين يحرس القرية ويحميها من اللصوص • بل أنه هو السبب فى حالة السلم والتآلف التى تسود القرية • كما أنه هو السبب فى أن القرية على خلاف كل القرى المجاورة لا توجد بها عداوات دم • كما أن أى معركة تحدث بها بين العائلات لا تحدث بها حوادث وتنتهى بسرعة والشيخ هو السبب فى ذلك •

ويعتقد أهالى القرية أن الشيخ يحرس أولادهم الغائبين كما أنه يحافظ عليهم من أى أذى أو ضرر • ولقد حكى لى أحد الاخباريين قصة توضح كيف أن الشيخ حسن أبو رايتين كان يصاحب ابنه وهو فى القوات المسلحة الى درجة أنه كان يظهر له وهو واقف فى خدمته • ويعتقد الناس وخاصة النساء فى الوقت الحاضر أن الشيخ حسن أبو رايتين يحارب فى صفوف المقاتلين وأنه يحافظ على أولادهم من نيران العدو وغالبا ما ينذرون له النذور التى سوف يفون بها بعد عودة أولادهم من الحرب • ويدل هذا على تغير وظيفة الأولياء وتكييفها حسب الظروف الحاضرة •

ومن هنا نجد أن الناس يلجأون الى الولى فى الكثير من المظالم والأمور العارضة فى حياتهم • ويجب أن ننوه هنا الى ظاهرة لاحظتها وجديرة بالتسجيل وهى أن كافة الممارسات ترتبط بالنساء ارتباطا مباشرا وأن علاقة الذكور بالولى لا تتعدى الزيارة وقراءة الفاتحة أو الوفاء بنذر معين قد يكون طلاء ضريح الشيخ أو شراء « كسوة »(٦) لضريحه أو عمل ذكر أمام بابه • ومن الامور التى يلتجىء الناس فيها الى الولى الامور التالية :

١ — كل الشئون العامة مثل حالات المرض أو حالة غياب أحد

---

(٦) مع كثرة السفر الى البلاد العربية ، فان معظم من يسافرون يحضرون معهم « كساوى » — الكسوة هى الاسم المحلى للقماش الذى يوضع على قبر الولى — للشيخ •

الأشخاص عن القرية والدعوة له بالرجوع سالما أو حالة النجاة من الكوارث أو النجاح فى الامتحان حيث ينذر الشخص أو أهله نذرا معينا للشيخ مثل النقود أو الكيروسين الذى يستخدم فى اضاءة ضريح الشيخ على أن توضع النقود فى صندوق النذور بعد أن يرجع الغائب أو يشفى المريض وهكذا • ويقدم الكيروسين الى خادم الضريح ليستخدمه فى اضاءته • ويلجأ الرجال والنساء على السواء الى الولى فى هذه الامور •

٢ ــ فى حالة الشكوى من المظلمة أو الرغبة فى ايقاع الأذى بأحد الأشخاص الظالمين أو المتهمين بالسرقة وهذه الزيارات تقتصر على النساء حيث لا يذهب الرجال الى الشكوى فى أضرحة الأولياء • وفى هذه المناسبة تذهب السيدة أو الفتاة الى ضريح الولى وتشكو من تريد أن تشكوه بأعلى صوت وذلك يوم الجمعة وتكرر الشكوى عدة مرات تصل أحيانا الى ثلاث جمع • وتذهب السيدة أو الفتاة بخصوص هذه الشكوى فى آذان الجمعة بالضبط لانها تعتقد أن الولى يستمع الى المظالم فى هذه الفترة بالذات ونجد أن النسوة لا يكتفين بالشكوى وانما يقمن كذلك باحدى ثلاث ممارسات شهيرة فى هذه المنطقة :

* اما أن « تكنس » الشاكية الشيخ فى أثناء شكوتها التى دائما ما تقترن بكلمة « خلصنى من فلان يا سيدى حسن أبو رايتين » أو « ورينى فيه يا سيدى » أو « خلينى أشوف فيه يوم » • وبعد أن تكنس أرض ضريح الشيخ تقوم بقلب الحصر الموجودة على الأرضية وتعتقد بذلك أنها تقلبها على الشخص المشكو نفسه وأنه بذلك سوف يقع تحت طائلة الولى ومعاقبته •

* واما أن « تشنق نفسها »(٧) أثناء هذه الشكوى حيث تطوق المرأة رقبتها بطرف طرحتها • وتمسك أطرافها بيديها وترفع وجهها الى

---

(٧) هذا هو اللفظ المحلى لهذه الممارسة •

أعلى وتلف حول ضريح الشيخ وتشكو الى الشيخ مظلمتها وتكرر هـذه العمل ثلاث جمع متوالية •

* تقوم المرأة بقلى الحلبة واسمها المحلى (الحياقة) داخل ضريح الشيخ • ويختارون الحلبة لانها أولا : لا يمسها السوس ولا العطن كما يقولون، ثم أنها ثانيا : مرة المذاق حيث ينعكس مرارها هذا على الشخص المشكو فيه • على أن تشكو أو « تدعى » على حد قولهم عند قلى الحلبة • وهى ممارسة جديرة فعلا بالمزيد من الدراسة •

هذا ويعتقد الناس أن الشيخ فى حالة أى ممارسة من هذه الممارسات الثلاث سوف « يبين » فى المشكو فيه اذا كان ظالما ولكنه اذا كان مظلوما فان هذه الشكوى تنقلب على الشاكى نفسه وتؤذيه • ولذلك نجد أن بعض الرجال يحذرون زوجاتهم من القيام بهذه الممارسات ولا يلتجأ اليها الا فى حالات الغيظ الشديد(٨) •

٣ ــ يلجأ الناس الى زيارة الولى فى أثنـاء المرض الشـديد الذى يصعب علاجه عن طريق الأطباء حيث ينذر أهل المريض الى الولى نذرا معينا يوفون به اذا ما شفى المريض •

٤ ــ كما تذهب اليه السيدة التى لا تلد والتى تسـمى « العاقر » حيث تتضرع اليه أن يتوسط لها عند الله فى أن يعطيها ولـدا أو يجعلها قادرة على الانجاب وغالبا ما تنذر اليه نذرا •

٥ ــ أما الاطفال فان الأم تذهب بطفلها اذا كان مريضا لكى يشفيه الشيخ، هذا اذا لم يفلح معه الطب• ولكن هناك ممارسة غريبة حقا خاصة بالطفل الذى يعتقد أنه « مبدول » • فنساء القرية يعتقدن أن الطفل لو

---

(٨) تجدر الاشارة الى أن الشكوى للشيخ ترتبط بالمستويات الطبقية ، فالذين يكثرون الشكوى للشيخ من أقل المستويات الطبقية . والأمر يحتاج الى مزيد من المتابعة ، فليس معروفا هل الفقير دائم الشكوى الى الاولياء ، أم أن الفقير هو أكثر الناس تعرضا للمظالم .

.ترك فى مكان ما من المنزل وحده ويكون المكان خاليا من أى شىء ذى قيمة كالمأكولات مثلا فان الملائكة أو الجان ــ لا يعرفون بالضبط ــ يأخذون الطفل الذى يكون بصحة جيدة ويضعون مكانه طفلا هزيل الجسم وضعيف الصحة الى درجة تدفع الأم الى أن تلجأ الى الولى أو الى السحرة لكى يرجعوا لها ابنها أو يأخذوا هذا الطفل الذى هو معها الى غــير رجعة • وعندما تلجأ الأم الى الولى (الشيخ حســن أبو رايتين) تذهب ومعها الطفل فى أذان ظهر يوم الجمعة وتضع الطفل « المبدول » على مفتــاح باب الضريح المصنوع من الخشب والذى يطلق عليه اســم « الضبة » وتقول هذه العبارة : « يا ضبه ضبيه وان ما ضبيتهش خــديه » وتكرر هذه الممارسة ثلاث جمع وفى نهاية هذه الثلاث جمع اما أن يشفى الطفل واما أن يموت • ولا شك أن هذه الممارسة تتوارث خلال خط الاناث بحيث تنصح المرأة كبيرة السن مثلا ابنتها بأن تذهب بطفلها الى الشــيخ لانه مبدول ، الامر الذى يجعلنا نتنبأ بأن هــذه الظاهرة شــأنها شأن كافة الممارسات الخاصة بالاعتقاد فى الاولياء لن تتغير فى المدى القريب،والتعليم فقط هو الذى ربما سيكون العامل الرئيسى فى القضاء عليها ، ولا أقصــد بالتعليم تعليم الرجل فلا يوجد منزل بالقرية الا وبه أحد المتعلمين من الرجال ولكنى أقصد التعليم فى خط الاناث الذى تنتشر فيه مثل هــــذه المعتقدات بصورة كبيرة(٩) وفى بعض الحالات الشاذة من هــذه الممارسة تذهب المرأة بطفلها فى أثناء صلاة الجمعة وتضعه فى قبر مهجــور عاقدة النية على أن يأخذه الملائكة ويأتوا لها بطفلها الأساسى وتكرر هذا ثلاث جمع يشفى فى نهايتها الطفل أو يموت واذا شــفى تظن أن الملائكة قــد استبدلوه فعلا •

ويستطيع أهل القــرية أن يحكوا لأى باحث عشرات الحكايات فى تطبيق كل هذه الممارسات وفى تصرف وانتقام الولى من الظالم اذا شكاه

---

(٩) من الأمور التى تحتاج الى دراسة ما اذا كان التعليم يسهم حقا فى تغيير المعتقدات : فمن الأمور التى يلاحظها اى فرد يفكر بالاسلوب العلمى أن الكثير من المتعلمين لا يغيرون من تفكيرهم المرتبط بالمعتقدات الشعبية كالسحر وخلافه .

المظلوم له وكان على حق ومن الشاكى نفسه اذا كان على غير حق • هذا ويجب التنويه الى أنه حدث ذات مرة أن كتب أحد الأفراد شكوى على ورقة صغيرة ووضعها داخل ضريح الشيخ لكى ينتقم له من لص ظن أنه يسرق حمام برجه ويبدو أن هذا الشخص قام بكتابة الورقة لانه ليس من عادة الرجال الشكوى الى الأولياء خاصة فى أمور المظالم •

وزيارة الولى تكون دائما يوم الجمعة أو فى أيام المولد حيث يكون باب المقام مفتوحا ليلا ونهارا ومن النذور التى تنذر للولى :

١ ــ النقود وهى نذور قليلة وتكثر فى أيام المولد وتذهب كلها الى خدام الولى ليقتسموها مع شريكهم فى قرية الجرنوس •

٢ ــ الكيروسين ويذهب الى خادم الولى لكى يستخدمه فى الاضاءة•

٣ ــ الأرز المطبوخ باللبن ، ويرتبط هذا النذر بشفاء الحيوانات المريضة حيث تنذر المرأة (قصعة) أرز بلبن تذهب بها الى جوار مقام الشيخ أمام بابه يوم الجمعة ويأكلها الاطفال الحاضرون أو الاطفال المارة • وتأخذ هذه الظاهرة فى الاختفاء فى هذه الايام •

٤ ــ الذبائح التى تقدم الى خدام الضريح • وقد يكون النذر ذبيحة كاملة أو نصف ذبيحة أو ربع ذبيحة •

(د) مولد الشيخ حسن أبو رايتين :

كانت موالد الأولياء تلعب دورا كبيرا فى حياة الناس فيما مضى حيث كان الناس يحسبون لها حسابا طيلة العام لكى يحضروها ، خاصة الموالد فى القرى المجاورة • وكان كل رب أسرة يأخذ أسرته ليقيم حيث يكون المولد لعدة أيام وبعض الأسر كانت تقيم أيام المولد كله • وربما كان للفراغ الاقتصادى أثر كبير على هذا حيث بدأت هذه الظاهرة فى الاختفاء بعد الاهتمام الكبير للناس بالنقود وشئون التجارة والزراعة • ويقتصرون الآن على قضاء ليلة واحدة والكثيرون لا يفكرون فى الذهاب على الاطلاق•

ومولد سيدى حسن أبو رايتين يبدأ فى غرة ربيع الاول أى فى بداية الاحتفال بمولد النبوى • حيث يأخذ الناس فى نصب أكشاك لبيع الحلوى والفول والشاى ولعب القمار ويسمى الكشك (الفرش) ويتكون من دكتين أو ثلاثة ومنضدة لوضع البضاعة عليها ثم سقف من الجريد أو بوص الذرة محمولا على ٤ قوائم خشبية • ويكون عدد هذه (الفروشات)(١٠) حوالى ١٠ فى المتوسط • ويستمر المولد حتى ليلة ١٢ ربيع حيث يحتفل بالليلة الكبيرة • ويبدو كل فرش خاليا من الناس فى الصباح والظهيرة ولكن من بعد العصر الى منتصف الليل نجدها مزدحمة بالناس : هذا يأكل الفول والحلوى ، وهذا يلعب (الكوتشينة) وهذا يحضر بعضا من السودانى والحلوى ليذهب بها الى المنزل أو ليقدمها الى أقربائه من النساء والفتيات اللائى يجلسن فى مكان متطرف من أرض المولد •

ويستضيف الشباب بعضهم ليأكلوا الحلوى والفول• وقد يؤثر نسق القرابة فى السلوك داخل المولد حيث نجد أن الشباب من عائلة ما يجلسون فى (فرش) أحد أقربائهم وان كانت هذه ليست قاعدة • وتنصب المراجيح للأطفال وكذلك يأتى بعض محترفى لعب الملاهى • ويتبارى الشباب فى ضرب (المدفع) الذى يتكون من كتلة حديدية تسير على قضيبين يدفعها الشاب بذراعه لتصل الى نهاية الطريق المخصص لها معلنة ذلك عن طريق (بومبة) فى نهايتها تصدم بقطعة حديد فتحدث صوتا • ويمكن تثقيل قطعة الحديد هذه أو تخفيفها تبعا لقدرة الشاب •

أما خدام الضريح فانهم يهيئون ضريح الشيخ بكنسه وتبييضه ويضعون أمامه راية كبيرة يحملها عامود كبير وغليظ من الخشب بحيث ينبىء (دق العامود)(١١) أمام ضريح الشيخ عن بداية المولد •

بعد ذلك يستدعى خدام الضريح جماعة من ضاربى الطبول من قرية الجرنوس وهم يقومون على خدمة شيخ هناك أيضا يدعى الشيخ

(١٠) جمع فرش باللغة المحلية .
(١١) هذه هى الكلمة المحلية للاعلان عن بداية المولد .

(أبو شوك) • ويأتى من هؤلاء ثلاثة أو أربعة يدقون الطبول ويحملون (بيرق) الشيخ أبو شوك وينضم اليهم محترف دق طبلة من البلدة وكذلك (بيرق) الشيخ أبو رايتين الذى يعتبر أخف من بيرق أبو شوك ويشتركون جميعا فى احياء أيام المولد • وفى الصباح تخرج قافلة الطبل هـذه ومعها البيرقان يحملهما اثنان من خدام الشيخ أو أولادهم ليلفوا القرية جميعها منزلا منزلا ويتوقفون أمام كل منزل ليقرأ أحدهم الفاتحة بصـوت عال ويخرج لهم أهل المنزل « العادة » (عادة الشيخ) وهى عبارة عن نقود أو بعض الحبوب كل حسب مقدرته • على أنهم لا ينهون القرية فى يوم واحد ولكنهم يقسمونها على الاثنتى عشر يوما التى هى أيام المولد •

وتنتهى هذه الجولة فى العصر تقريبا ودائما ما ينهون جولتهم عنـد الشيخ حيث ينصب الناس للمولد وقـد يبدأوها منه • ولذلك سـبب ، فالشباب يتبارى أيضا فى « لف أو تدوير البيرق » على دقات الطبول وفى الاستعراض به ويسمى هذا (تدوير البيرق) وتقف النسـاء من بعيـد ترقبن أولادهن وتشجعهم بالزغاريد • ولا يمارس الشباب عمليـة لف البيرق تبركا فقط وانما فخرا واظهارا للقوة أيضا •• هذا ويدفع كل من يلف البيرق قرشا أو أكثر يضم الى الحصيلة العامة من ايراد المولد •

ويطلق أهل القرية على هذا الموكب الذى يحيى المولد يوميا ويلف كل القرية بالطبول والبيارق اسم (الزاوية) • هذا وكثيرا ما ينذر الناس وجبة لهذه الزاوية يقدمها لهم فى الغذاء أو العشاء أيام المولد الى درجة أن هـذه الجمـاعة (الزاوية) لا يسـتطيعون الذهاب الى كل دعـوة للعشاء أو الغذاء ، وكثيرا ما يذهبون لتلبية الدعوة دون أكل وذلك لكثرة الدعوات •

وفى مساء كل ليلة يقام أمام الشيخ ذكر تقوده الطريقة الصـوفية الوحيدة المنتشرة فى القرية وهى الطريقة البيومية والتى لم تنتشر الا منذ سنتين• وقبل ذلك كان الذى ينظم الذكر هم نقباء الشيخ أبو شوك ولديهم

خبرة فى هذا وقد يكون هذا هو السبب فى دعوتهم لاحياء ليالى المولد ، وقد يكون السبب أيضا أن لقريتهم نصيبا من ايراد الشيخ • وفى نهاية المولد يقسم هذا الايراد مثالثة بين خدام الشيخ فى القرية ونقيب الشيخ الاساسى فى قرية الجرنوس ونقباء أبو شوك الذين يحيون المولد •

ولكن ماذا عن الليلة الكبيرة • هذه الليلة هى ختام المولد وهى ليلة مولد النبى عليه السلام • ويعطل الناس أعمالهم لمشاهدة هذه الليلة • ويبدأ الاحتفال بها بعد الظهر حيث يركب مأذون القرية أو أحد رجال الطرق الصوفية جملا ويرتدى زيا أبيضا ويوضع فوق الجمل الذى يركبه بطانية جديدة • ويطلق عليه اسم الخليفة (خليفة رسول الله طبعا) ويركب الاطفال والشباب الحمير والجمال ويتفننون فى تزيينها ويسير هذا الموكب يتقدمه الخليفة وعلى يمينه ويساره البيارق وأمامه الطبل وخلفه الاطفال والشباب يركبون الحمير والجمال المزينة ويلفون القرية كلها • وفى النهاية تنصب حلقات (تدوير البيرق) وتستمر الى المساء • وبعد المساء ينصب الذكر وغالبا ما يحضر ميكروفون لاحياء الليلة • وفى نهاية الذكر يقوم أحد المشايخ بتلاوة الابتهالات الدينية وفى نهايتها يأخذ نقودا من الناس « ليحفظهم » قائلا : فلان الفلانى وترد عليه بطانته : يا ربنا فاحفظه أو يا ربنا فارحمه حسب الحالة ويستمر حتى الفجر • ويحرص كل شخص وكل بيت أن يحفظ نفسه عند هذه البطانة أو يرحم موتاه • وتجلس النساء خلف الذكر وتتلقى الهدايا من الفول السودانى والحلاوة التى يأتى لهم بها الرجال الذين ينتشرون هنا وهناك • وتعم حالة رواج عند البائعين حيث يحرص كل فرد على شراء فول وحلاوة لمنزله فى هذه الليلة التى تستمر حتى الصباح الذى يكون فيه كل شىء قد انتهى وتعود الايام الى سيرتها الاولى •

ولاشك أن هذا وصفا مثاليا للمولد • فقد يحدث أن تكون القرية حزينة لموت أحد وجهائها أو شبابها أو موت عدد كبير من الرجال بها فى هذا العام مثلا ، فلا يقام المولد اطلاقا ، أو يقام ولكن على مستوى أضيق من الوصف السابق • المهم أن المولد يتأثر بالحالة العامة للقرية الاقتصادية والاجتماعية •

الشيخ محمد الســـاعى :

يقع قبره على شاطىء البحر اليوسفى فى منتصف المسافة من بداية القرية حتى نهايتها تقريبا • وهو قبر من الطوب اللبن يبلغ ارتفاعه حوالى ثلاثة أرباع متر وطوله حوالى متر وعرضه حوالى ثلاثة أرباع متر أيضا • وقد بناه أحد أبناء القرية من الجيل السابق حيث أتى له فى المنام وقال له: « أنا سيدك محمد الساعى ابنى له علامة فى هذا المكان » • وقام الرجل فى الصباح ببناء هذا القبر ، ومنذ أن أقيم القبر والحكايات تسرد حوله ويكثر عدد من يرونه فى المنام • ويظن بعض قليل من الناس أنه الذى اخترع الساعات • ويظن الناس أيضا أنه متخصص فى حمل الرسائل • وقد لعب دورا كبيرا فى معتقدات الناس أثناء الحرب حيث تلجأ اليه المرأة وتتضرع اليه أن يحمل لها خطابا من عند ابنها على جبهة القتال •

والنذر الوحيد الذى يقدم له هو اضاءته عددا من الليالى حسب النذر المذكور • ولا يوجد له خادم يخدم ضريحه ولكن يعتنى به كل الناس على أى حال •

الشيخ محمد الاربعين :

بجوار الشيخ الساعى أو بالقرب منه على حافة البحر • وقد أتى الى أحد الأفراد أيضا فى المنام وقال له : لابد أن تبنى فوقى مصلية يصلى فيها الناس • وهو الآن عبارة عن مجموعة من الاحجار مستوية السطح يصلى فوقها الناس ويعرفون أن تحتها شيخا وليا • ولكنهم لا يزورونه ولا يقدمون له النذور المهم أنهم يذكرون أنه يوجد فى هذا المكان ولى ويعتقدون أن هذا الولى والولى السابق يوجدان فى بلاد كثيرة وليس من المهم أن توجد أجسادهم بل أنهم قد مروا بهذا المكان وغيره من الاماكن أو أشروا فيه على أن يبنى لهم مقبرة •

التقرير الثانى

اسم الولى : الحاجة آمنة أم يوسف الأحمدية •
اسم القرية : ههيا •
اسم المدينة والمحافظة : ههيا ــ شرقية •
اسم الاخبارى : الشيخ ع • ع • ٦٤ سنة •
تاريخ الزيارة : ٣٠ ديسمبر ١٩٦٤ •
علاقة الاخبارى بالولى : من أقارب السيدة ، وخادم الضريح •

حكاية الولى :

أصل عائلة السيدة من مدينة الطائف بالحجاز(١) ، نزحت الى ههيا مع جد العائلة عوف وخادم خاص بها ، كون هو الآخر أسرة خاصة به مازال أحفادها موجودين فى ههيا حتى الآن • استقرت عائلة السيدة فى مدينة ههيا بعد عودتها من الحجاز وعاشت حياة عادية تماما ، وكانت السيدة تحتل قبل موتها مركزا عاديا بين ذويها ، ولم تكن قد ظهرت عليها امارات الولاية بعد(٢) •

وتعودت السيدة أن تذهب كل عام لزيارة مولد السيد البدوى(٣) فى طنطا ، فى رفقة مجموعة من أقاربها وبعض أهل المدينة • وفى طريق العودة من رحلة طنطا كان سكان القرى الواقعة على الطريق ينتظرونها

---

(١) تتصف هذه المجموعة من الأولياء التقليديين بأنها تدعى لنفسها دائما انها من أصل حجازى ، تيمنا وبركة وامعانا فى الطهر والولاية ، وربما مقدمة لادعاء نسب شريف .

(٢) قرر الاخبارى هذا فى بداية الحديث ، برغم أنه تكلم عن كرامات لها أثناء حياتها ، وأنها كانت ذات مركز مرموق من هذه الناحية ، والرأى عندنا أنه أضاف مثل هذا التقرير ليضفى على حديثه بريقا ، ويعطيه شيئا من الاثارة، فهى قد عاشت حياة عادية ، ولكنها أتت بعدد من الكرامات بعد موتها !

(٣) تعتبر زيارة السيد البدوى فى طنطا مماثلة للحج فى فهم معظم فلاحى الوجه البحرى (قارن Kriss; & R. Hartmann فى هذا الموضوع ، انظر قائمة المراجع الافرنجية فى نهاية الكتاب) فأداؤها واجب على الأولياء كل عام، وهذا من ناحية أخرى يوضح أن السيدة عاشت بعد وفاة السيد البدوى .

ويستضيفونها لديهم ، ويكرمونها ومن معها ، ويطلبون منهـا البـركة ، ويستمر هذا التكريم على طول الطريق من طنطا الى ههيا • وهكذا عاشت السيدة حياتها : زهد وتعبد وورع ولم تتزوج على الاطلاق •

وحانت النهاية ، بعد أن انتهت السيدة من قضـاء مولد البـدوى وغادرت طنطا فى طريقها الى ههيا طلبت من مرافقيها الدخول الى مصلى لم تكن تعودت أن تتوقف فيه فى المرات السابقة(٤) • ويقع هذا المصلى فى قرية « ميت حبيش » وعلى غير عادتها أيضـا طلبت أن يتنـاول الجميع طعام الغذاء فى هذه القرية • وتناول الجميع الطعـام ، ثم نصـحتهم بالصلاة ، وبعد الصلاة تنبأت بموتها ، وهنا استولى الفزع على أقاربها • وسار ركبها بعد ذلك فى طريقه الى ههيا ، وفى الطريق فارقت الحياة وهى على ظهر حمارها ، وكانت قبل موتها قد أمرتهم ألا يدعوا أحدا من أهل القرى التى سيمرون بها ، والتى تعودت أن تنزل بها ، أن يقترب منها حتى لا يكتشفوا موتها « فيأخذوننى منكم ويدفنونى عندهم » ونفـذ أهلها وصيتها ، وتم نقلها ميتة من « ميت حبيش » الى ههيا حيث دفنت فى هذا الضريح القائم • ويعتبر نقلها على هذه الصورة أبرز وأشـهر المعجزات التى تنسب لها الآن •

أما الضريح المدفونة فيه الآن ، فقد كانت قد بنت مكانه لنفسها(٥) ضريحا بالطوب النى لتدفن فيه بعد موتها ، ولم يكن الضريح قريبا هكذا من القرية ، وانما كان بعيدا عنها بمسـافة تزيد على الكيلو متر ، ولكن

---

(٤) يلاحظ من هذا أنه كان لها أماكن محددة تتوقف بها فى كل مرة ، ربما حيث يوجد لها أتباع أو رواد محددون .

(٥) يهتم العاديون من المصريون ، ناهيك عن الأثرياء بتوفير القبر قبـل الموت بمدة كافية ، عندما يشعرون بدنو النهاية ، ويتصل بهذا اعداد الكفن ، والوصايا المختلفة . انظر رسالة علياء شكرى ، الثبات والتغير فى عادات الموت من العصر المملوكى حتى العصر الحاضر ، بون ، ١٩٦٨ . اقرأ عرضا وافيا لمحتوياتها عند علياء شكرى ، التراث الشعبى المصرى فى المكتبة الاوربية، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

المدينة توسعت وامتدت حتى جاورت حدودها الضريح تماما • والضريح مبنى فى أرض حكومية ، وليست أرضـــه ملكا للســـيدة ، ولم تكن تمتلك الا عشرة أفدنة ، وهبتها لأحد الناس ـــ على حد تعبير الاخبارى •

أسطورة الوفاة :

كما أشرت من قبل يعتبر حضور السيدة الى هيا ميتة على حمارها أشهر المعجزات التى تنسب لها وأبرزها ، وبداية الاسطورة الوفاة التى تلعب دورا كبيرا فى أسطورة كل ولى تقريبا • كانت السيدة قبل موتها قد تنبأت بظروف موتها(٦) ، فقالت بأن الدنيا ستمطر(٧) فى اليـــوم التالى لوفاتها ، فأوصتهم بوضعها فى الكفن الذى سبق أن أعدته ، ولف الكفن فى حصير من فرش جامع القرية الكبير « الجامع الكبير »(٨) • وبله بماء المطر ووضعه عليها مبللا • ونفذت وصية السيدة ، وصلى عليها فى الجامع الكبير ونقلت فى نفس اليوم الى الضريح الذى سبقت الاشـــارة اليه • وفى طريق عودتهم ، حاول ابن أخيها ـــ جد الاخبارى ـــ أن يعبر قنطرة على مجرى مائى ـــ يفصل بين مكان الضريح والجزء الآخر من القرية ـــ مع بقية المشيعين عائدا الى منزله ، فتعـــذر عليه ذلك ، اذ أحس بشىء قوى يجذبه من الخلف ، ويمنعه من الحركة ، واستخدم كافة الوسائل(٩) ليتخلص من هذا الموقف ويستطيع الحركة ولكنه فشل •• وأقنعه الناس أنه يجب أن يبقى هنا لان السدة أرادت أن يبقى بجوارها ليرعى الضريح

---

(٦) التنبؤ بالمستقبل من أهم الكرامات التى تنسب للأولياء .

(٧) للمطر يوم الوفاة ، أو أثناء الجنازة ، دلالة عقائدية خاصة ، انظر : عليا شكرى ، الثبات والتغير فى عادات الموت ... ، مرجع سابق .

(٨) فى كل قرية من قرى مصر تقريبا جامع رئيسى ، يســـمى « الجامع الكبير » يكون عادة اكبرها حجما ، وكان هو المسجد الذى تؤدى فيه صـــلاة الجمعة .

(٩) من هذه الوسائل الاســـتغاثة بالولى الأقرب أو الأكبـــر ، ثم بكبار الاولياء الآخرين ، ثم الدعاء بكل صوره ، وقد يصـــل الى عمل حلقـــة ذكر حوله ..

ويحرسها ، وهكذا أقام هذا الشخص وبنى له مسكنا بجـوار الضريح ، وبقيت سلالته ـ التى ينتمى اليها الاخبارى ـ تعمل على رعاية المقام •

هذا وكانت السيدة قد وعدت خادمها قبل موتها بأنه سـينال ثلاثة قروش(١٠) من مولدها الذى سيقام لها كل عام ، وهكذا تنبأت بقدسيتها وذيوع صيتها ، وبمولدها الكبير •

كرامات السيدة :

١ ـ أشهر هذه الكرامات حضـورها على حمارها وهى ميتـة من « ميت حبيش » الى ههيا •

٢ ـ التنبؤ بقدسيتها ، ووجود دخل من مولدها •

٣ ـ حمل ابن أخيها على البقـاء بجوارها وربطـه عند عبـور القنطرة •

٤ ـ كان من عشاق (!) « مريدى » السيدة أحد الأشخاص الذى كان يعمل صرافا بالقرية ، وبسبب حبه لها أهمل فى عمله ، فعاقبه سيده المفتش التركى بأن ربط فى عنقه حجرا كبيرا وقذف به فى البحر « نهـر النيل » ، واستغاث الصراف بالسيدة ، فأخرجته سـليما من المـاء ••• وجاء التركى يحاول جمع المال فلم يفلح(١١) ، وندم التركى على فعلته ، وعلم عندئذ بنجاة الصراف « خليل أفندى » ، فأعاده الى عمـله ، وزار السيدة وشكرها ، وتاب على يديها ، وطلب منها أن تطلب منه أى شىء يوقفه عليها •

---

(١٠) الرقم رمزى فقط ، ويشير الى وجود دخل من هذا الطريق .
(١١) كان السادة الاتراك العثمانيون يستخدمون عمالا مصريين ، لانهم اكثر قدرة على التعامل مع الفلاحين .

ملاحظات عن الاخبارى :

الاخبارى لم ير السيدة فى منامه على الاطـــلاق ، وليس فى ذهنـــه صورة معينة عن مظهرها أو شكلها • يبدو من سياق الحديث الطويل الذى أدرناه معه أنه قليل الاعتقاد فى قدسيتها وولايتها ، فهو « لم ير منهـــا شيئا » أى لم يشاهد أو يحيا معجزة من معجزاتها ، وانما « نحن نسمع » فقط • وبرغم ذلك فانه يحرص على ألا يقول فيها الا خيرا لانه هو القائم على استغلال الضريح من الناحية المالية •

الاخبارى توفى فى خلال شهر يناير ١٩٦٥ ، بعد مرور أقل من شهر على الزيارة ، وكان يبدو شديد الضعف شاحب اللون •

مولد الحاجة آمنة أم يوسف الأحمدية (*)

الاخبارى :

الاخبارى من أعيان مدينة ههيا وضـــواحيها ، عاش حيـــاة خصبة عريضة ، اشتغل بالتجارة وأعمال السمسرة ، وقام بجولات واســـعة فى شتى نواحى مصر متصلة بعمله التجارى وبنشاطه الترويحى الذى اتخذ صورا ماجنة فى فترات الشباب والكهوله •• له علاقات شخصية واسعة بسبب ظروف عمله وانتقالاته • وقد اكتسب الاخبارى ثروة عريضة من تجارة القطن والمزارعة ، فكان يعد من وجهاء المنطقة • وقد مكنت له هذه الامكانيات المالية الاضطلاع بعبء تنظيم مولد السيدة • ومما يذكر أن الاخبارى كان فى تلك الفترة وقبلها وبعدها ـــ لمدة ٤٠ عاما تقريبا ـــ يعمل على تنظيم السوق الاسبوعى العام للبلدة ، وهو باختصار يسمى نفســـه صاحب المولد •

(*) الاخبارى الشيخ ح . ع . ٩٤ سنة ـــ الخليفة .

المولد :

قبل أن يأخذ الاخبارى الشيخ / ح • ع • على عاتقه ــ منذ نحو خمسين عاما ــ عبء اقامة المولد والترويج له وتنظيمه ، كان المولد عبارة عن سوق صغير « سويقة » ليست لها أهمية كبيرة •• وكانت هذه « السويقة » تقام من قبل فى شهر مايو ، حيث تكون فترة رواج اقتصادى ، ويكون لدى أهل القرية من الامكانيات المالية ما يمكنهم من الانفاق فى المولد والاستمتاع بما يقدمه من وسائل لهو وترفيه ، وحيث يتيسر كذلك للقائمين على تنظيم المولد من الامكانيات ما يمكنهم من الوفاء بالالتزامات التى يستوجبها تنظيم المولد •

ومنذ نحو خمسين عاما ، بدأ الشيخ / ح • ع • فى تنظيم المولد بامكانياته الخاصة ، والتزم بنفس الموعد الذى تقام فيه « السويقة » فى الماضى ، فتلك الفترة ، وهى فترة الحصاد ، هى فترة الرواج عند الفلاحين ، وهى التى يقام فيها ــ لهذا ــ غالبية الموالد فى مصر • ومن الجدير بالذكر أن الاخبارى يتخذ من عملية تنظيم المولد سنويا سندا لوجاهته فى المدينة وبين أعيانها •• وفى غضون الفترة التى كنا نزور فيها المدينة كان الاخبارى قد أعد مذكرة للجهات المسئولة (مشيخة الطرق الصوفية بالقاهرة) يدعى فيها أن السيدة آمنة الأحمدية خالته ، وأنه يرعى مولدها منذ خمسين عاما ويرجو اقراره خليفة لها ، ووقع على هذا الطلب مقرين بما فيه عدد كبير جدا من أعيان المدينة •

ويبدأ الاعداد للمولد بطلب تصريح من الادارة المختصة بوزارة الداخلية باقامة المولد ، ثم يعلن عن ذلك رسميا فى الصحف اليومية وبوسائل الدعاية المختلفة فى المنطقة : فى المساجد والاسواق والمقاهى •• الخ • ويتحتم عليه فى هذه الأثناء أن يحصل على تصريح من وزارة الصحة ــ خوفا من وجود وباء فى المنطقة فيكون المولد عاملا من عوامل انتشاره ــ ثم وزارة الزراعة ، لكى لا يتعارض موعد اقامة المولد مع احتياجات الزراعة الأساسية ، كوجود وباء أو آفة معينة فى الارض

تحتاج الى الأيدى العاملة لمقاومتها ... الخ • بعد ذلك تبدأ الفرق الفنية المختلفة فى الحضور الى المدينة ، ويحدد الشيخ الاخبارى لكل فرقة أو فنان قطعة من الارض فى المساحة التى تحدد اقامة المولد عليها • ولا يقام المولد عادة على قطعة أرض محددة ، ولكنها تختلف من عام لآخر تبعا لظروف البناء ، وحجم الفرق المشتركة ، والاقبال •• ومختلف الظروف بحيث تختار مساحة واسعة من الارض المتاحة مجاورة ما أمكن لمقام السيدة • ومفروض أن الاخبارى يحصل من هذه الفرق على مقابل (حق امتياز) منحها حق العمل ، ويكون هذا الدخل الجزء الأكبر من مصروفاته على المولد ، وهو يدعى أن مصروفات المولد أكثر من وارداته •

أما المصدر الهام الأساسى للواردات فهو صندوق النذور الموجود داخل ضريح السيدة ، وهو يصل — طبقا لبيانات الدليل — نحو ١٥٠ مائة وخمسين جنيها كل عام ، يستولى عليها الشيخ / ع • ع • خادم الضريح وأخوته ، وقد سبق أن أشرنا الى أنهم يدعون قرابة للسيدة الولية •

ومما تجدر الاشارة اليه أن الاخبارى الشيخ / ج • ع • سوف يستولى بعد تعيينه خليفة — وخاصة بعد وفاة الشيخ / ع • ع • على صندوق النذور الخاص بالسيدة •

التقرير الثالث

اسم الولى : الشيخ / يوسف بن عنان « العنانى » •
اسم القرية : ههيـــا •
اسم المدينة والمحافظة : ههيا ــ شرقية •
اسم الاخبارى (١) : الشيخ / ع • ا / ٨٥ سنة • مزارع سابقا•
اسم الاخبارى (٢) : الســـيد / ك • ع • ا / ٥٥ ســـنة • ناظر مدرسة ابتدائية •

تاريخ الزيارة : ٣١ ديسمبر ١٩٦٤ •
علاقة الاخبارى (١) بالولى : يقوم على رعاية المقام ماديا وروحيا
علاقة الاخبارى (٢) بالولى : نجل الاخبارى (١) •

هذا الولى نموذج على جانب كبير من الأهمية ، تلتقى حوله مجموعة كبيرة من الأساطير والمعتقـــدات والممارســـات ذات الدلالة الفولكلورية الهامة ، والتى يحتاج تفسير كل عنصر منها على حدة الى دراسة مستقلة•

حكاية الشيخ :

الشيخ يوسف بن عنان هو اسم الشهرة لهذا الشيخ ، فقد اتضح من قراءة وثيقة الاخبارى رقم (١) ان أسمه : يوســـف الرشـــيدى ، وليس بن عنان •

ورد الشيخ يوسف الى مصر مع الفتح الاســـلامى(١) ، كان قائدا لأحد جيـــوش الفتح ، ويقول عنه الاخبـــارى رقم (١) انه من تابعى

(١) هذه الفئة من الأولياء معروفة فى الغالبية العظمى من قرى مصر ، ونسبة الولى الى جيوش الفتح الاسلامى تقارب ــ فى هدفها ــ نسبة أسرة الولى الى بلاد الحجاز ، انظر قصة الحاجة آمنة أم يوسف الاحمدية ص ١٣٢ •

التابعين ، أى من الجيل التالى على الصحابة • ومما هو معروف أن الجيوش التى حضرت لغزو مصر من قبل عمر بن الخطاب كانت من فئة الصحابة وليست من تابعى التابعين • ومن اللافت للنظر أن أسرة الشيخ كلها تشتهر بالولاية والبركة : فوالد الشيخ يوسف هذا ولى له مقام فى قرية مجاورة هى « ميت أبو خالد » من أعمال محافظة الشرقية •• والشيخ يوسف نفسه — على حد معلومات الاخبارى رقم (١) — هو الجد السابع للعنانية « أولاد عنان » فى مصر(٢) ، والأمر الذى يجب ملاحظته أن كل أضرحة هذه العائلة من الأولياء تقوم بجوار نهر النيل سواء فى ههيا ، أو « ميت أبو خالد » أو فى القاهرة •

أما عن أصل الشيخ ونسبه فيقول الاخبارى رقم (١) انه يمتلك وثيقة بتسلسل نسب الشيخ يوسف حتى عمر بن الخطاب ، وأن هذه الوثيقة هى حجة الخلافة على المقام ، وكانت من قبل فى حوزة والد الاخبارى رقم (١) الذى كان بدوره خليفة للمقام ثم انتقلت الى حوزة الاخبارى رقم (١) • وقد تسلمت الأسرة هذه الوثيقة من « شيخ السجادة » أو « شيخ مشايخ الطرق الصوفية » بالقاهرة ، ولازالت فى حوزة الأسرة حتى الآن • وقد اطلعت عليها ، ومنها علمت الاسم الحقيقى للشيخ •

وفى مقابل هذه المعلومات التى أدلى بها الاخبارى رقم (١)(٣) عن تاريخ الشيخ ، علمت من الاخبارى رقم (٢)(٤) فى مقابلة سابقة معه أن الشيخ غير معروف الموطن ، ولا يعرف تاريخ مولده ، ولا تاريخ وصوله

---

(٢) يقع ضريحهم بميدان رمسيس بالقاهرة ، ولهم أضرحة فى قرى مصرية متعددة .

(٣) الاخبارى رقم (١) شيخ عجوز فى الخامسة والثمانين كان يعمل مزارعا ، ولازال للآن يعتبر نفسه خليفة الشيخ يوسف .

(٤) الاخبارى رقم (٢) أصغر سنا ، يعمل ناظرا لمدرسة ابتدائية بالقرية ، يرتدى البدلة الافرنجية ، على صلة معقولة بالمدنية الحديثة، وعلاوة على هذا فقد أدلى بهذه البيانات فى غياب والده .

الى ههيا • (يراعى القارىء بدقة تراجع الاعتقاد فى ولاية الولى من جيل الى جيل • وهى ظاهرة عامة لاحظناها لدى دراسة كثير من الاولياء) •

الضريح وبناؤه :

بناء الضريح متواضع من النوع البسيط المتوسط الحجم والمساحة • يقول الاخبارى رقم (١) ان الضريح كان فى بداية عهده مبنيا على حافة النيل مباشرة ، ثم شق طريق رئيسى بجوار النيل ، فشمل الطريق المصلى التى كانت تفصل الضريح عن النيل وأصبح الضريح على حافة هذا الطريق العام • وعند الشيخ يوسف — كما عند كل الأولياء المقامة أضرحتهم بجوار النيل فى مصر — يرتبط شق ترعة أو طريق رئيسى بجوار الضريح بمعجزات يبديها الولى دائما(٥) • فقد حاول مهندس الرى — وهو ضحية هذه المعجزات فى جميع الاحوال — لاعتبارات علمية أن يغير مجرى النهر — الترعة — وكان يقضى هذا التغيير باغراق الضريح ••• وشرع فعلا فى تنفيذ الخطة ، ولكن الفؤوس لم تعمل فى الارض ، وفشلت الخطة فشلا ذريعا فتقرر الغاء هذا المشروع ، والابقاء على قبر الشيخ كما هو •

يرجع أقدم بناء للضريح رآه الاخبارى رقم (١) فى حياته الى ١٢٠ عاما تقريبا ، وفى أوائل هذا القرن ظهر الشيخ يوسف لوالد الاخبارى رقم (١) فى المنام(٦) وأوصاه بتجديد قبره المرة الاولى سنة ١٩١٩ فوجد

---

(٥) هذا العنصر Motif فى معجزات الأولياء واسع الانتشار جدا ، وقد قابلناه فى دراستنا هذه عند الشيخ داود الغرب ، قرية نزالى جنوب مدينة القوصية محافظة اسيوط ، انظر التقرير الخاص رقم (٥) فى هذا الفصل . على أن تصوير المعجزة فى هذه الحالة — أعنى معجزة الشيخ داود الغرب — كان أكثر خيالا وأثرى تفاصيلا .

علاوة على هذا فانه يمكننا من الكتابات المختلفة عن الاولياء فى مصر ان نجمع عددا لا حصر له من الشواهد ، أبرزها محاولة بناء ضريح جديد للشيخ « أبو الحجاج » فى الأقصر ، قارن كريس وغيره .

(٦) الظهور فى المنام هو الوسيلة الاساسية التى يستخدمها الاولياء ، ويستخدمها الموتى بصفة عامة ، لاخبار الأحياء برغباتهم . والرغبة فى تجديد القبر من الأمور الشائعة فى المجتمع المصرى ، يوصى بها الميت — فى المنام — ابنه أو صديقه .

الرملة المدفون فيها الشيخ يوسف ذات لون أبيض ، ويصل سمكها الى حوالى ستة أمتار ، وعثر على الهيكل العظمى للشيخ(٧) : طول عموده الفقرى أكثر من ثلاثة أمتار(٨) ، كانت جمجمته كبيرة هائلة الحجم • وقد وجد الاخبارى رقم (١) أنه مدفون بهذه المنطقة ــ تحت قبر الشيخ ــ أعداد طائلة من القتلى ، وقد تأيد ذلك الى جانب ما رآه الاخبارى رقم (١) بنفسه عند تجديد مقام الشيخ يوسف(٩) ، ما رآه كل الاهالى فى المنطقة المحيطة عندما يحفرون فى الارض لوضع أساسات مبانى أو شىء من هذا القبيل(١٠) ، ويفسر الاخبارى رقم (١) وجود هذا العدد الكبير من القتلى بأنه دارت معارك أيام الفتح العربى فوق أرض المنطقة أو قريبا منها ، وأن الجيوش المتحاربة دفنت قتلاها فى هذه المنطقة المحيطة بالمقام •

كرامات الشيخ :

١ ــ من أشهر كرامات الشيخ حيلولته دون ازالة قبره واغراقه فى مياه النيل •

٢ ــ الظروف المدفون فيها ، لون الرمل وسمكه •• الخ •

٣ ــ الحالة التى كانت عليها رفاته •

---

(٧) اشار الاخبارى رقم (٢) الى انه ليس معروفا ما اذا كان الشيخ يوسف مدفونا كله ، أو بعض أعضاء جسمه فقط هى المدفونة فى مقامه .

(٨) سألت الاخبارى رقم (٢) عما اذا كان قد رأى هذا الهيكل أو سمع عن الواقعة من أحد من اقاربه ، فأجاب بالنفى عن الشطر الاول . وبأنه لا يذكر شيئا عن الشطر الثانى .

(٩) من العجيب أنه لم يداخل الاخبارى رقم (١) وهو بصدد تجديد الضريح أى شك فى التعرف على جثة الولى من بين رفات الجثث المنتشرة فى المنطقة على حد معلوماته . ويبدو أن المقاييس التى أعطاها لهيكل الشيخ اما لاقناع نفسه ومحدثيه بحقيقة كون هذه الرفات للشيخ ، واما تعظيما للشيخ بصفة عامة : بوصفه كبير الحجم هائل الجثة ، وهو عنصر Motif يرد كثيرا فى الأدب الشعبى لوصف البطل .

(١٠) الدليل رقم (٢) أمن على كل تفاصيل هذه النقطة .

٤ — كان الشيخ يظهر لوالد الاخبارى رقم (١) فى المنام كثيرا جدا ، وكذلك الحال مع الاخبارى رقم (٢) نفسه ، وهو كما شاهدنا يعبر فى هذه المرات عن رغباته ، أو ينبئهم بوقائع ستحدث لهم فى المستقبل وقد صدقت جميعها ، أو يفسر لهم وقائع حدثت فى الماضى أو الحاضر •

٥ — أبرز وأشهر كرامات الشيخ انقاذ المدينة من الفيضان ، فقد حدث ذات مرة أن طغى النهر على مدينة ههيا ، واستغاث الاهالى بابن عنان لينقذهم ، فهبط النهر فى ههيا ، وعند ضريح أبيه فى « ميت أبو خالد » • وقد أشار الاخبارى رقم (١) الى « سر » أسرة أبو عنان فى حماية البلاد من الفيضان •

٦ — هناك عدد كبير من أهالى المنطقة رآه فى المنام فى ملابس حربية يحرس « الناحية »(١١) •

٧ — رآه بعض الناس فى المنام يؤم أولياء المنطقة الذين كانوا مجتمعين عنده(١٢) •

مولد الشيخ :

المعلومات التى حصلت عليها عن مولد الشيخ ناقصة ، فوق أنها مضللة • مصدر المعلومات الاخبارى رقم (٢) • حسب معلوماته لم يكن يقام للشيخ احتفال بالمولد فى الماضى الذى يعيه هو • وقد بدىء الاحتفال بذلك منذ نحو عشر سنوات ، وهو يقام فى ليلة شم النسيم • ويقول الاخبارى رقم (٢) عن تفسير ذلك ، ان الميعاد قد حدد على هذا النحو لصرف نظر أهالى البلدة عن الاهتمام بشم النسيم كعيد قبطى • ويتخذ الاحتفال بمولد الشيخ المظاهر الاخرى التى نجدها عند أولياء البلدة ولكن ربما بصورة مخففة •

---

(١١) لاحظ التأكيد بصور مختلفة على وظيفة الشيخ كرئيس للمنطقة .

(١٢) هذه الأفكار تعبر عن رأى اهل المنطقة فى الشيخ كرئيس لأوليائها، فهو الحامى الاول ، ومصدر البركة الاساسى .

تاريخ الاحتفال بالشيخ :

لم يكن يحتفل بالشيخ فى الماضى فى يوم محدد ، وانما كان الاحتفال (الذى يسميه الناس ويمكن أن نسميه تجاوزا مولدا) يقام فى فترة توفر اللبن (تقريبا ديسمبر ــ يناير من كل عام) • ويتضح من هذا أن اليوم لم يكن محددا وثابتا ولكنه يتفاوت تبعا للظروف • أما عن سبب ارتباط العيد بتوفر اللبن ، فذلك راجع الى طبيعة الاحتفال نفسه • ذلك أن أهالى الحى كانوا يتعاونون ــ ربما تبعا لمركزهم الاجتماعى ــ فى تقديم الطعام لزوار المولد وكانت وجبة الصباح عبارة عن لبن ومنتجاته فقط (لبن ــ أرز باللبن ــ جبن ــ قشدة ••• الخ) وكانت تسمى « صبيحة المولد » •

أما عن مظاهر الاحتفال فى هذه الصورة القديمة للمولد فلم نحصل على معلومات حولها • وانما المؤكد أن احتفال اللبن هذا ــ « صبيحة المولد » ــ قد اختفى الآن كمظهر هام من مظاهر الاحتفال بمولد الشيخ (راجع تقرير الأولياء فى قرية بنى واللمس) •

مظاهر الاحتفال الأخرى :

١ ــ حسب معلومات الاخبارى رقم (١) كان من عادة كثير من الناس أن يتناولوا طعامهم مع أصدقائهم وأقاربهم ــ من الذكور ــ عند الضريح كل يوم •• وقد اختفت هذه الممارسة تماما الآن •

٢ ــ يضاء الضريح كل ليلة جمعة ويؤدى الناس فيه صلاة الجماعة، دون الارتباط بطقوس معينة كاقامة ذكر أو غير ذلك •

ملاحظات :

١ ــ لاحظ التأثير الواضح الذى مارسه الاخبارى رقم (٢) على عبادة الشيخ فى الوقت الحاضر •• والعمل ــ ربما دون وعى ــ على تخليص المولد وسائر صور الاحتفال بالشيخ من الممارسات التقليدية

والعادات القديمة • ولعله يحسن بنا أن نقارنه هنا — مع التحفظ الشديد — بالسيد ب • ع • الذى كان له أكبر الأثر فى اضمحلال عبادة جده المدفون بالمنزل ، بحيث اختفت هذه العبادة تماما الآن ، وأصبح الشيخ لا يزار الا من أفراد الأسرة فقط •

٢ — يقوم على رعاية ضريح الشيخ يوسف بن عنان من الناحية المادية السيد ك (الاخبارى رقم ٢) وأهل الحى ، ويقوم على خدمة الضريح احدى السيدات — ذات المستوى الاجتماعى المتواضع — وهى التى تقوم بتحصيل النذور القليلة والمتواضعة التى تقدم للشيخ لمصلحتها • وهى التى تحمل مفتاح الضريح ، وتقوم بتنظيفه ••• الخ •

٣ — الشيخ عبده قطورة وكيل شيخ السجادة فى ههيا ، يقيم فى الابراهيمية — مركز ههيا ويشرف على كل الأضرحة فى المركز •

٤ — المنطقة الواقعة عليها كل الأولياء فى ههيا تسمى الجزيرة البيضاء قارن التقرير الخاص بخادم الولى مصطفى أبو النحاس •

التقرير الرابع

اسم الولى : الشيخ / مصطفى أبو النحاس •
اسم القرية : ههيـــا •
اسم المدينة والمحافظة : ههيا ـــ شرقية •
اسم الاخبارى (١) : ع • ا • ٦٠ سنة تقريبا •
اسم الاخبارى (٢) : ب • ا •
تاريخ الزيارة : ٣٠ ديسمبر ١٩٦٤ •
علاقة الاخبارى (١) بالولى : خادم الضريح •
علاقة الاخبارى (٢) بالولى : القائم على رعاية الضريح ماديا •

حكاية الشيخ :

يقسم الخادم أولياء المنطقة بصفة عامة الى أولياء صحابة ، وأولياء مستجدين • النوع الاول أرسخ فى الولاية وأوضـــح ، أما الثانى خـــلا يعترف بولايته بشكل كامل •

وطالما أن الخادم يفكر على هذا النحو ، فانه يجيب على أسئلتنا عن أصل الشيخ وقصته بأن يضعه فى النمط المعروف : من صحابة رسول الله، حضر الى ههيا من الجزيرة العربية مع الفتح الاسلامى لمصر •

وفى هذا السياق يورد الاخبارى (١) تفسيرا لاسم البلدة ، فقـــد سأل الصحابة وهم قادمين من الجزيرة العربيـــة فى جيش الفتح : أين الجزيرة البيضاء ـــ يقصدون المنطقة الواقعة عليها ـــ ههيا ـــ قيل لهم ها هى ، ها هى ، ومن هنا ظهر الاسم ههيا(١) •

---

(١) يجب الاشارة فى هذا الصدد الى أن كثيرا من الاولياء المعروفين فى مصر والذين حضروا اليها من بلاد عربية أو اسلامية أخرى ، كان أجدادهم أو آباؤهم أو هم أنفسهم ـــ قد علموا بوسيلة ما ـــ حلم أو هاتف .. الخ . أنهم يجب أن يرحلوا الى مدينة أو قرية كذا ، لان الولاية قد كتبت لهم فيها .

الضريح :

لم نحصل على معلومات عن تاريخ بناء الضريح الحالى • الضريح عبارة عن مبنى كبير الحجم نوعا ــ حوالى ١٠ × ٥ متر ــ له مدخل واحد، ويؤدى المدخل الى حجرة كبرى ــ ردهة الضريح ، وفيها يجتمع الناس للذكر والصلاة ، وحجرة أخرى أقل حجما هى المدفون فيها الشيخ •

أوضح ما فى الضريح وأجدره بالذكر أنه ليس له شاهد شأنه شأن كل مدافن وأضرحة الموتى والأولياء فى مصر •

وقال الخادم وكذلك الاخبارى (٢) انهم بصدد اقامة شاهد للضريح تفاديا لسير الناس بالأقدام على القبر ، هذا ويحتم الاخبارى (١) على كل من يدخل الحجرة المدفون بها الشيخ أن يخلع حذاءه ، رغم أنها ليست مفروشة بحصر أو سجاجيد للصلاة تحتم مثل هذا الاجراء •

ويلاحظ الاخبارى (٢) أن الأمر ليس مؤكدا فيما يختص بما اذا كان جسد الشيخ كله أو جزء منه هو المدفون فى الضريح ، فيقول البعض ان قدمه هو المدفون ، ويدعى البعض أن يده فقط هى المدفونة ، والأمر ليس مؤكدا • على أن الاخبارى (١) لاحظ على الفور أن جسد الشيخ كله هو المدفون • يقوم على تمويل الضريح الاخبارى (٢) وأسرته ، وعلى خدمته والعناية به الاخبارى (١) • ولما كان القائمون بالاشراف على الضريح لا يقبلون النذور لانهم فى ميسرة ، فهو مغلق بصفة دائمة ولا يفتح الا فى الظروف المشار اليها فيما بعد •

الكرامات :

أدلى الاخبارى (١) فى هذا الشأن بأن الشيخ يستغاث به فى كل شئون الحياة التى تحتاج الى معاونة : للمرض ، للنجاح فى امتحان أو عمل •• الخ • على أن جميع الجالسين (من بينهم المرشد فى الرحلة

وشبان من أهل البلدة من المتعلمين) قرروا أن الشيخ يستغاث به — بصفة أساسية — لعلاج الاناث من البهائم اللائى لا يلدن ، وكذلك البهائم المريضة (كأن يفسد لبنها ، أو يختلف طعمه عن المألوف .. الخ) • وقد أكد هذه البيانات الاخبارى (٢) ، ولكن الخادم عارض مثل هذا الزعم بشدة على اعتبار أن ذلك محطة واهانة فى حق الشيخ أن ترتبط كراماته بالبهائم •

المولد والصور الاحتفالية الأخرى :

١ — يقيم خادم الضريح (الاخبارى ١) مساء الاثنين من كل أسبوع حضرة « ذكر » لقراءة ربع دلائل الخيرات • ويشترك فى الحضرة — مع الخادم — حوالى عشرة من المتدينين •

٢ — أما عن المولد السنوى ، فلم نحصل على معلومات عن تاريخه • وكل ما علمناه فى هذا الصدد أنه كان يشترك فى احيائه بعض فرق الطرق الصوفية ، كالعزمية وغيرها ، بنشاطاتهم المعروفة •

الآن يقام المولد السنوى فى فصل الصيف ، ويتراوح تحديد اليوم فى الفترة ما بين أواخر ابريل وأوائل مايو • يلاحظ فى هذا الصدد أن عائلة الاخبارى (٢) هى التى تقوم بالاشراف على المولد من الناحية المادية وتمويله اذا احتاج الى تمويل •

التقرير الخامس

تقرير عن زيارة الشيخ داود الغرب

اسم الشيخ : الشيخ داود الغرب •
اسم القرية : نزالى جنوب •
اسم المدينة : القوصية ــ المحافظة : أسيوط •
تاريخ الزيارة : ١٩٦٥/١/٢٢ •

اسم الاخبارى : ف • س • (أم عبد الحميد) •

حكاية الشيخ :

الشيخ داود الغرب من صحابة رسول الله الذين قدموا الى مصر مع الفتح العربى « الحرب الزمانية » • واستشهد خلال المعارك التى دارت بمناسبة الفتح الاسلامى المصرى • ولا توجد معلومات تاريخية عن حياته •

الضريح :

غير معروف تاريخ نشأته • ويقال انه كان فى حالة أفخم وأحسن مما هو عليه الآن • ولكنه ساء فى التاريخ الحديث وتهدم وأعيد بناؤه بشكل متواضع منذ نحو أربع سنوات وتكلف البناء ٤٢ جنيها • الاسطورة تقول أن البناء كان موجودا قبل شق ترعة الابراهيمية ، وعند شقها قرر المهندس هدم الضريح الذى كان موجودا مكان الضريح الحالى ليستقيم سير الترعة • وعند الشروع فى الهدم أخذت تخرج من القبر أبراص تضرب العمال فقرروا التخلى عن العمل وزمجر المهندس وأمر بمواصلة العمل • وكان واقفا الى جانب النخلة المجاورة للضريح فأحس بنار تشتعل فى جوفه وأمسك فى النخلة وبعد ذلك نقل المهندس الى القاهرة حيث مات •

الضريح الحالى يقع الى جانب البحر مباشرة (ترعة الابراهيمية) لايفصله عنها جسر ، ويقع فى الوقت نفسه على الطريق المؤدى الى قرية نزالى جنوب • خارج المسجد توجد مصلى مساحتها ٣ × ٥ متر تقريبا • مفروش فيها حصيرة كان ينام فيها وقت الزيارة أحد الفلاحين ، أما مبنى الضريح فمساحته ٥ر٢ × ٣ متر مع قبة متواضعة وللضريح باب خشبى يقفل بكالون • الضريح مفروش بالحصير والمنامة (القبر) حجمها ٥ر١ × ٥ر × ١ مترا ، مكسوة بالخشب والحرير الأصفر الذى أهداه للضريح ابن النجيبة (النقيبة) (عبد الحميد) الذى يعمل مساعد كمسارى فى الأقصر بمناسبة تعيينه فى وظيفته • وعلى شاهد المنامة توجد عمامة فى حالة جيدة متجهة الى البحر • وبعرض الضريح معلق حبل عليه بعض النذور : مناديل يد حريمى ، لمبات كهربائية تالفة • وبالمبنى بعض الفتحات للاضاءة وبعضها مسدود بحيث تحول الى طاقة وأصبح مخصصا لوضع الشموع كما يستخدم فى أغراض مختلفة •

مولد الشيخ :

ليس للشيخ مولد يقام بصفة دورية ولم يكن له مولد طوال حياة الاخبارى الذى قابلناه فى الضريح •

الزيارة الأسبوعية :

هى المظهر الرئيسى فى الوقت الحاضر للاحتفال بالشيخ وتكريمه لاستنزال بركته ويتم ذلك فى يوم الجمعة حيث تفتح « النجيبة » الضريح قبل الظهر • الضريح يزار أساسا من جانب نساء القرية لأغراض شتى على رأسها علاج العقم وأداء النذور • وتلاحظ «النجيبة» أن عدد الرجال الزائرين قليل جدا بالنظر الى عدد النساء • وللاخبارى ملاحظة عامة أخرى وهى أن عدد الزيارات آخذ فى التناقص كذلك كمية ومستوى النذور • كانت تقام بالضريح صلاة الجمعة حتى عهد قريب حينما أنشىء مسجد قريب من الضريح فانصرف الناس اليه وأصبحت لا تقام صلاة

الجمعة بالضريح الآن • تبدأ الزيارة عادة باللف حول المنامة عددا وترا « بالفرد » وبعد ذلك اما أن تجلس السيدة بجوار المنامة (القبر) تتسلى بالحديث مع باقى النسوة ، وهى الحالة التى وجدنا عليها النساء الجالسات بالضريح وقت الزيارة • ولاحظنا أن احدى السيدات استأذنت الشيخ قبل مغادرة الضريح •

الزيارات غير الدورية :

لا يمكن أن تتم زيارة غير دورية بمعنى الزيارة الذى سبقت الاشارة اليه لأن « النجيبة » تحتفظ معها بمفتاح الضريح بصفة مستمرة • وهى تفتح الضريح كلما وجدت لديها بعض الوقت خلال أيام الاسبوع •

مظاهر التكريم الأخرى :

الى جانب مساهمة أبناء القرية فى بناء الضريح والزيارات الاسبوعية المنتظمة وغير المنتظمة تقدم للشيخ بعض النذور خاصة من قبل النساء تستفيد « النجيبة » وأسرتها منها بما يمكنها الاستفادة منه كالنقود والمأكولات والملبوسات الناقصة ، وتعلق بالضريح مالا يمكنها الاستفادة منه أو ما لا تحتاج اليه كالمناديل التى وجدناها معلقة بالضريح أو اللمبات الكهربائية التالفة •

الكرامات :

١ — الحادثة الخاصة بمحاولة ازالة الضريح لشق ترعة الابراهيمية والتى استحال بسببها تنفيذ الهدم • وأدت الى انحناء مسار ترعة الابراهيمية بحيث تترك الضريح مكانه •

حاول أحد الناس سرقة ثمار النخلة العالية المجاورة للمقام وقد عاقب الشيخ السارق بأن ربطه بأعلى النخلة حتى الصباح حيث شاهده جميع سكان القرية • لم يذكر الاخبارى ما اذا كانت قد حدثت طقوس معينة لتخليص السارق من الربط أم لا •

ملاحظات :

تقـوم على خـدمة الضريح « النجيبـة » السـيدة (أم عبـد الحميد) وهى التى ساهمت فى الاشراف على عملية اعادة بنـاء الضريح وتجديده وهى التى قابلناها عند زيارتنا للضريح يوم الجمعة المشار اليه الساعة الحادية عشر والنصف صباحا •

وقد دخلت الى الضريح لقراءة الفاتحة فأوصتنى « النجيبة » باللف بادئا من اليمين • لفت نظرى كسوة المنامة بالحرير الأصـفر على غـير المألوف من استخدام اللون الأخضر فى المناسبات المتشابهة •

الفصل الرابع

دليل مختصر للدراسة الميدانية لموضوع الأولياء

مقـــدمة :

استخدمت فى جميع الأســـئلة ـــ قدر الامكان ـــ كلمـــة « ولى » للدلالة على تلك الفئة من الشخصيات الدينية التى تحظى بتكريم خاص من جانب الناس (مسلمين ومسيحيين) ولكنها لا تنتمى ـــ مع ذلك ـــ الى فئة الأنبياء أو غيرها من الشخصيات الدينية المقدسة • وبذلك استعضنا بكلمة « أولياء » عن كافة الألقاب والاســـماء الاخرى « كالمشـــايخ » و « أهل الله » ••• الخ •

ومن الأمور كبيرة الأهمية أن يتنبه الباحث الى مراعاة العلاقة بين الانبياء وبعض الأولياء • فهناك بعض الانبيـــاء الذين يتخـــذ تكريمهم الشكل المتبع بالنسبة للأولياء ـــ كمقام ابراهيم الخليل فى فلسطين ، ومقام داود فى فلسطين أيضا ـــ كما أن هناك بعض شـــخصيات الأولياء الذين يستمدون مكانتهم من علاقتهم المخصوصة مع بعض الانبيـــاء ـــ كبعض المولودين من نسلهم وبعض صحابتهم ورفاقهم • كما أن هنـــاك بعض الشخصيات التى تحظى بدرجة غير قليلة من التقديس والتكريم فى نفوس الناس ، والتى تقع على درجة بين الانبياء والأولياء كالخضر (أو الياس) فى فلسطين وفى بعض أنحاء مصر •

كذلك يجب أن يتنبه الباحث الى أهمية العلاقة بين الطرق الصوفية والاولياء • فكثير من أولئك الاولياء نالوا شـــهرتهم الواســـعة وعرفهم الاتباع من خلال تشكيلات الطرق الصوفية المختلفة • ثم ان نفرا غير قليل منهم يدين بما يلقاه من تكريم للطرق الصوفية التى تكونت وتدافع عن مبادئهم وتعاليمهم وتروج لها بين النـــاس ، وتقيم لها الاحتفـــالات السنوية بأنواعها • وليس بغائب عن بالنا أن كثيرا من الطرق الصـــوفية

واسعة الانتشار تحمل اسم أحد الأولياء • كالقادرية ، والأحمدية ، والشاذلية ••• الخ •

ولذلك فانه من الأمور الهامة أن يتتبع الباحث نظرة الناس الى أهل الطرق الصوفية والى المنخرطين فيها ومدى تقديرهم لدورهم ومكانتهم • وكذا مدى تقدير الناس لأهمية التوازن بين الانشغال بالطريقة (أى النشاط الصوفى والانقطاع للعبادة) والاهتمام بأمور المعاش اليومى •

كذلك يهتم الباحث بتتبع العلاقة بين المسجد وضريح الولى • ومن بين ما يدخل تحت هذا الموضوع موقع الضريح من المسجد ، وأسبقية الضريح أو المسجد أو العكس ، ودور الضريح من تعمير المسجد وتجديده ••• الخ • كذلك يندرج تحت هذا الموضوع الاهتمام بخادم المسجد والالتفات الى دوره ، وقصة ارتباطه بالضريح وخدمته ، وعلاقته بالقرابين والنذور والأضاحى التى تقدم للولى ••• الخ •

١ — سيرة الولى :

أهم الأولياء بالمنطقة — أقدرهم — ترتيبهم — تكريمهم — الاشراف — الانتساب الى الخلفاء الراشدين أو الصحابة أو المجاهدين القدامى — المنطقة التى وفد منها الولى الى المنطقة — الولى ووفوده من المدينة أو الريف — أمارات ولايته فى أثناء الحمل ، وعند الولادة ، وتنبؤ الأولياء الكبار به ، وتبشيرهم به أيضا — طفولة الولى — علامات الولاية ، تحصيل علوم الشرع ، آثار يد الرسول أو الأولياء الكبار على جسم الولى — روايات عن ظهور الولاية عليه — اللوح المحفوظ — أفعال أو صفات لازمة لاطلاق لقب « ولى » على شخص ما — مظهر الولى — عاداته — حالاته المزاجية — الاستغراق فى الحالة — خيط الصوف بدلا من المسبحة — المسبحة — اطالة شعره — سيماء الولاية — أمارات الصلاح — طريقته الوصفية — معلم الولى (شيخه) — ظهور الملائكة للشيخ — عزو درجته الى اجتماعه بالانبياء والاولياء السابقين وتلقيه عنهم — رعاية الله للولى

عند الأزمات — مجاهدات الولى — الأولياء المعتكفون — « ورد » الولى — مكان ظهور الولاية — شعوره بالولاية قبل وصوله الى محل ولايته — السياحة والتجوال بين البلاد — اعادة تسمية المكان نسبة للولى — الأولياء المفسرون — الولاية والبلهاء أو غير الاسوياء — أفعال المشايخ والمجاذيب وكراماتهم — رد فعل الناس تجاه من يحتقر أو يؤذى المجاذيب — « الولية » — أولياء اناث أحياء وكراماتهن — ألقاب الولى — الرموز المعبرة عن الولى — مكان دفن الولى — تجهيزه ودفنه — دفنه بجوار ولى آخر دليل على حسن فعاله — جنازة الولى — وصايا بعض الناس بأن يدفنوا بجوار ولى معين — موقع مدفن الولى ووصفه من الداخل والخارج — مجمع الأولياء بالمنطقة — خادم الضريح — أضرحة أولياء داخل المساكن الخاصة — شجرة الجميز بجوار الضريح — تكريم أشجار دون غيرها وكراماتها — المكان الخاص الذى يحظى بنظرة خاصة — البئر بجوار مقام الولى — وضع الخبز أو النقود بجوار الضريح — مكان الاحتفال بالمولد النبوى — الآثار الشخصية للولى بالضريح — تجديد الضريح ومناسبته — بيع ثياب الولى بعد موته — ألقاب الأولياء المعروفين — نسبة بعض المأكولات الى المشايخ — التنظيم الخفى لعالم الأولياء (الديوان الدورى) — الحواشون — « المتولى » — الشيخ ابراهيم الدسوقى أصل تسميته بأبى العينين — « عيش السيد البدوى » — كبار الأولياء بالمدن الذين يحرص أبناء المنطقة على زيارتهم والمشاركة فى الاحتفال بمولدهم .

٢ — الممارسات المتعلقة بالولى :

(ا) الزيارة :

ممارسات زائر الضريح عند وصوله اليه — زيارة الولى المحلى — أيام زيارة كل ولى — أيام الرجال وأيام النساء فى الزيارة — زيارة النساء وشروطها — المناسبات التى تزار فيها أولياء المدن المجاورة والقاهرة — زيارة أكثر من قبر واحد وفى يوم واحد — زيارتهم فى مناسبات دينية

معينة ــ استنجادهم فى الشدائد والممارسات التى تتم عند هذه الزيارة ــ التبرك بولى قبل أداء أى عمل ــ موكب العروسة وزيارة الولى ــ الممارسات المتبعة ــ زيارة الحجاج للولى المحلى قبل وبعد الحج ــ استشفاء المرضى بزيارة الولى ــ زيارة المرأة التى وضعت حديثا للولى فى أول مرة تخرج من بيتها بعد الوضع ــ زيارة الطفل الوليد فى أول مرة يخرج من بيته للولى ــ حلق شعر الاطفال أمام الضريح ــ حظر طواف الرجال حول الضريح ــ أدوات تحضير الطعام بجوار الضريح ــ قضاء حاجة كل من زار الولى فى مولده ــ ممارسات ضد الأولياء المفسودين ــ زيارة جنازة الميت لأحد الأولياء •

(ب) المولد :

موعد الاحتفال بمولد الولى ــ والمناسبات المعنية لاقامة المولد اذا لم يكن تاريخ ميلاد الولى معروفا ــ الموالد بعد وفاة الولى ــ مواعيد بدء ونهاية الاحتفال بمولد الأولياء المحليين والليلة الكبيرة لكل مولد ــ الاحتفال بالمولد أكثر من مرة سنويا ــ زيادة الاقبال فى يوم معين من أيام المولد ــ الاحتفال بمناسبات خاصة فى المولد (احتفالات الزواج مثلا) ــ عملية الختان : مكان اجرائها ــ زفة المختتن ــ حلقات الذكر والانشاد فى أثناء المولد ــ التجمعات والشوادر ــ حلوى المولد ــ عناصر الاحتفال ــ الجو التجارى ــ الألعاب ــ خدمات تقديم الطعام والشراب المجانى ــ أملاك موقوفة للضريح ــ الكتابة التفصيلية عن بعض الموالد وعناصر الاحتفال عند المسلمين والمسيحيين : السيد البدوى ، الحسين ، جلال الدين السيوطى ، أبو سيفين ، مارجرجس ••• الخ • ــ الدعوة للمولد ــ تحديد موعده •

(جـ) النذر :

سبب تقديمه للأولياء ــ أنواعه ــ مناسبات تقديمه ــ مواعيد تقديمه ــ الوفاء بالنذر ــ نذر الدواب تكريما للولى وتركها ترعى أينما

شاءت دون التعرض لها ــ معاملتها وأضرار مخالفتها ــ النذر بوقف قطعة أرض ، النذر بشعر الطفل ــ تسمية الطفل باسم الولى ــ حالات نذر قص شعر الطفل عند ولى معين والممارسات المصاحبة لذلك ــ مصير الشعر المقصوص ــ ممارسات قص الشعر بالنسبة للبنات ــ نذر الولد أو البنت للولى ــ مواعيد قبول النذر •

٣ ــ قدرات الولى :

(ا) عام :

سبب قصد الولى المحلى ــ القدرات الخاصة لكل ولى محلى بالمنطقة ــ دعاء الاستغاثة بالاولياء ــ ثقل الوزن لثقل الولاية ــ أعمارهم ــ دخولهم الجنة بغير حساب ــ موتهم فى يوم معين ــ حلف اليمين عند أضرحتهم ــ علامات خاصة تنذر بموت أحدهم •

(ب) قدرات الولى السحرية :

تسخيرهم للجان ــ أخذهم العهود على الجن بعدم ايذاء أحد من المريدين ــ أخذ « الطريق » واتباع ولى عند الجن ــ ايقاف مفعول العناصر الطبيعية ــ فهم أصوات الحيوانات والطير ــ تأثير تعليق شىء ببوابة المتولى على الشخص الذى علقها ــ منحدر لتدحرج العاقرات عند « مزار الولى » ــ اكتساب اتباع الولى الحماية من أذى الحشرات أو الحيوانات ــ اجابة رغبات الاتباع دون تصريحهم بها ــ اضرار الولى من يعارضه ــ « عيش » السيد البدوى كحجاب ــ قصص عن ولى مات وخلق شيئا كان يخفيه وأفاد فى العلاج أو فى أغراض سحرية أخرى •

(جـ) قدرات الولى العلاجية :

قصد الولى للاستشفاء ــ معجزات الشفاء المنسوبة للأولياء المعروفين بالمنطقة ــ دخول الاشياء الشخصية الخاصة بولى فى العلاج من أمراض معينة ــ القدرات العلاجية فى بصقة الولى ــ ارسال ملابس

الضريح ومعها نقود الى خادم الضريح ليضعها تحت رأسه وينام ليلا فى الضريح •

(د) الكرامات :

ماهيتها ــ القدرة على اتيانها ــ ووقت اظهارها وفى أى سن ــ ذكر الله والولى طفل صغير ــ الاخبار عن الماضى والمستقبل ــ الطيران ــ الصعود والنزول فى الهواء ــ الحوار مع الموتى ــ أنوار الولى ــ اشعاع النور من موضعه وبعد موته ــ السيطرة على الوحوش ــ التأثير على الجماد ــ المعجزات الغريبة الأخرى (أكل الدبابيس مثلا) ــ تحويل الشىء الى شىء آخر مطلوب ــ تحويل الفقير الى غنى والنحاس الى ذهب ــ سيلان العسل من بين الأصابع ــ استخراج ما يطلبه الحاضرون من أشياء متنوعة من جيبه الخالى ــ كرامة احضار الأشياء والخضر ــ كشف حال الموتى ــ المشى على الماء ــ تسكين الرياح ــ السيطرة على الموج والماء والتحدث اليهما ــ وضع بعض أجزاء الجسم فى النار فلا تحترق ــ الكرامة وتضليل الشيطان ــ كرامات تمنع المرء من الاغراء ــ ترك بعض العبادات ــ « أهل الخطوة » ــ انتقال الولى لأداء الصلاة فى مكة أو المدينة والعودة سريعا ــ صلاته خلف رسول الله حيا أو ميتا ــ طيران روح الولى وهو حى الى السماء ــ حضوره أحداثا فى مكان بعيد دون أن ينتقل من مكانه ــ معرفة أحوال الناس البعيدين عنا ــ زيارة جبريل للولى فى خلوته ــ حق شفاعة الولى للخاطئين اللاجئين له ــ عرض أحوال الناس على الولى ــ عدم خشية الحكام ــ حماية أتباعه من الاحساس بالألم ــ هيئة الولى التى يظهر بها لمن يستنجد به ــ ظهور النبى له مرات عديدة ــ هداية العصاة والبغايا والأشرار ــ سبب هداية الطالح الى طريق الولى ــ كرامات الولى أثناء جنازته ــ الكرامات بعد الموت ــ كرامات تحول دون نقل قبر الولى من مكانه الى مكان آخر ــ حكايات حول نقل جثمان الولى من مكانه الى مكان آخر ــ سماع صوت الولى عند قراءة دعوات أو آيات معينة عند قبره ــ الارض لا تأكل أجساد الانبياء الأولياء ــ تغير جسد الولى بعد وفاته ــ الولى الذى

« يركب » القرية (فى الفيوم يشرحون ذلك بأن خيالا يظهر على جدار الضريح فى مولد الولى يمثل فارسا على جواد يتحرك مع بيارق) — اجابة الولى الميت سؤال اتباعه بحديث مباشر — رعاية الاتباع حتى بعد موته — النبى يزور ضريح الولى — ملائكة حول قبر الولى تقضى حاجات الزائرين — لا تأكل النار جسد من يحب ويحسن الاعتقاد فى الولى — ظهور الولى لأحد الناس يطلب اقامة ضريح له فى مكان محدد — قدرة الولى على القصاص ممن يهين قبره — كرامات أخرى لأولياء المنطقة المعروفين — أهم الكرامات المنسوبة للأولياء والكبار •

٤ — أشياء تتعلق بالولى :

قصص حول ولى المنطقة — الخبز الخاص بالولى (مثل عيش السيد البدوى) — القائمون بتوزيعه — تلمس الشفاء — التمسح بعامود السيد — قدرات ينسبها الناس لباب الولى — ممارسات حول « بوابة المتولى » — معتقدات حول باب زويلة — نموذج مصغر لسفينة داخل الضريح معلقا — السفينة الكائنة فوق سطح ضريح الامام الشافعى — معتقدات وممارسات ترتبط بأجزاء من ضريح الولى — أشياء تلقى تكريما خاصا وتنتمى الى الولى أو ضريحه — التداوى بزيت قنديل بعض الأولياء من مرض رمد العين — الاحتفاظ بقطع من ثياب وأدوات الولى — شعره أو شعرات من الولى — تميز بقايا طعام وشراب الولى بقدرات سحرية خاصة — زيادة بركة النيل بالقاء شىء من ملابس الولى — استخدام احدى أدوات الولى فى جلب الخير — آثار الولى (أقدامه — آثار أقدام حصانه) — تحرك مسبحة الولى وتسبيحها بدون الامساك بها — الرائحة الطيبة لأشياء وأدوات الولى — تحريم المشى على قبر الولى — التصرف فى الكسوة القديمة التى ترفع عن قبر الولى — تراب ضريح الولى — الأثر الخاص لاحدى الأشياء الأخرى •

٥ — أخلاق الولى :

دلائل صلاحه — استمرار بركته فى نسله — من يدفن من أفراد أسرته بجواره — استحباب الدفن بجواره أو فى نفس مقبرته •

٦ ــ الصوفية :

(ا) الأولياء والطرق الصوفية :

الطرق الصوفية التى يتبعها الولى ــ الشيخ الذى تلقى منه الولى أسرار الطريق ــ انتقال الولى الحى (الشيخ) بين المحافظات بصفة دورية ــ استقباله ومظاهر تكريمه •

(ب) الطرق الصوفية :

ماهيتها ــ الموجود منها بالمنطقة ــ أخذ العهد ــ شروط آخذه ــ التزام المريد بأداء واجبات أو خدمات لشيخه الصوفى ــ « الفتوح » ــ الزى الخاص للمتصوف ــ موعد اللقاء السنوى لاتباع كل طريقة ــ التقاء المشايخ الكبار بأفراد الطريقة سنويا ــ استقلال الصوفية فى مسكن خاص ــ مشاركة النساء للرجال فى الذكر ــ حفلات الذكر الخاصة بالنساء ــ تعاطى الصوفية المكيفات ــ تناول المأكولات أو المشروبات فى احتفالات الصوفية ــ النقيب ــ البدل ــ تدرج المنتسبين الى الطرق الصوفية (كل طريقة على حدة) ــ المراتب عندهم (خادم السجادة ــ خادم العكاز ــ خادم الابريق) ــ المولوية ــ تداول النصوص والمنظومات المختلفة فى الحفلات الدينية التى يقيمها الصوفية •

(جـ) القطب :

ما هو ــ قدرته على التنقل فى لمح البصر ــ أماكن معينة يقف بها ــ صياحه بدعاء معين من على سطح الكعبة ــ مكان اقامة القطب ــ القطب غير الحسى •

٧ ــ الانبياء :

القصص المتداولة عن الانبياء التالية أسماؤهم : أدريس ، سليمان ، نوح ، يعقوب ، اسحاق ، صالح ، هود ــ القصص المتداولة عن : آصف

ابن برخيا ، لقمان ، ذو القرنين ــ قصة خلق آدم ــ رفع عيسى وادريس الى السماء ــ بقاء تابوت موسى حتى الآن فى أحد المساجد ــ حكايات عن موت سيدنا موسى تختلف عما يحدث عند موت سائر الناس ــ رفع سيدنا داود صوته كالمزامير ــ كتب السحر عند سليمان يضبط بها الجن والانس والشياطين والطير ــ كرسى سليمان ــ النخلة التى أرضعت مريم المسيح تحتها ــ دعاء سيدنا يعقوب ــ تابوت يوسف ــ خلود (الياس والخضر) على الارض ــ من هو الخضر ــ ظهوره لبعض الناس ــ الحكايات المتواترة عنه ــ وظائفه ــ مقابلة الناس له ليتحققوا منه عن درجة الولى الذى يتبعونه •

٨ ــ تبادل الاعتقاد فى الاولياء والقديسين :

الاولياء المسلمون الذين يزورهم المسيحيون واليهود ــ القديسين الذين يزورهم أبناء الديانات الاخرى ــ القديسون (غير المسلمين وغير المسيحيين) يشترك فى زيارتهم أبناء الاديان المختلفة ــ بيع ميداليات لقديسين فى موالد الاولياء المسلمين ــ لجوء المسلمين الى القديسين للدعاء لهم عند المرض •